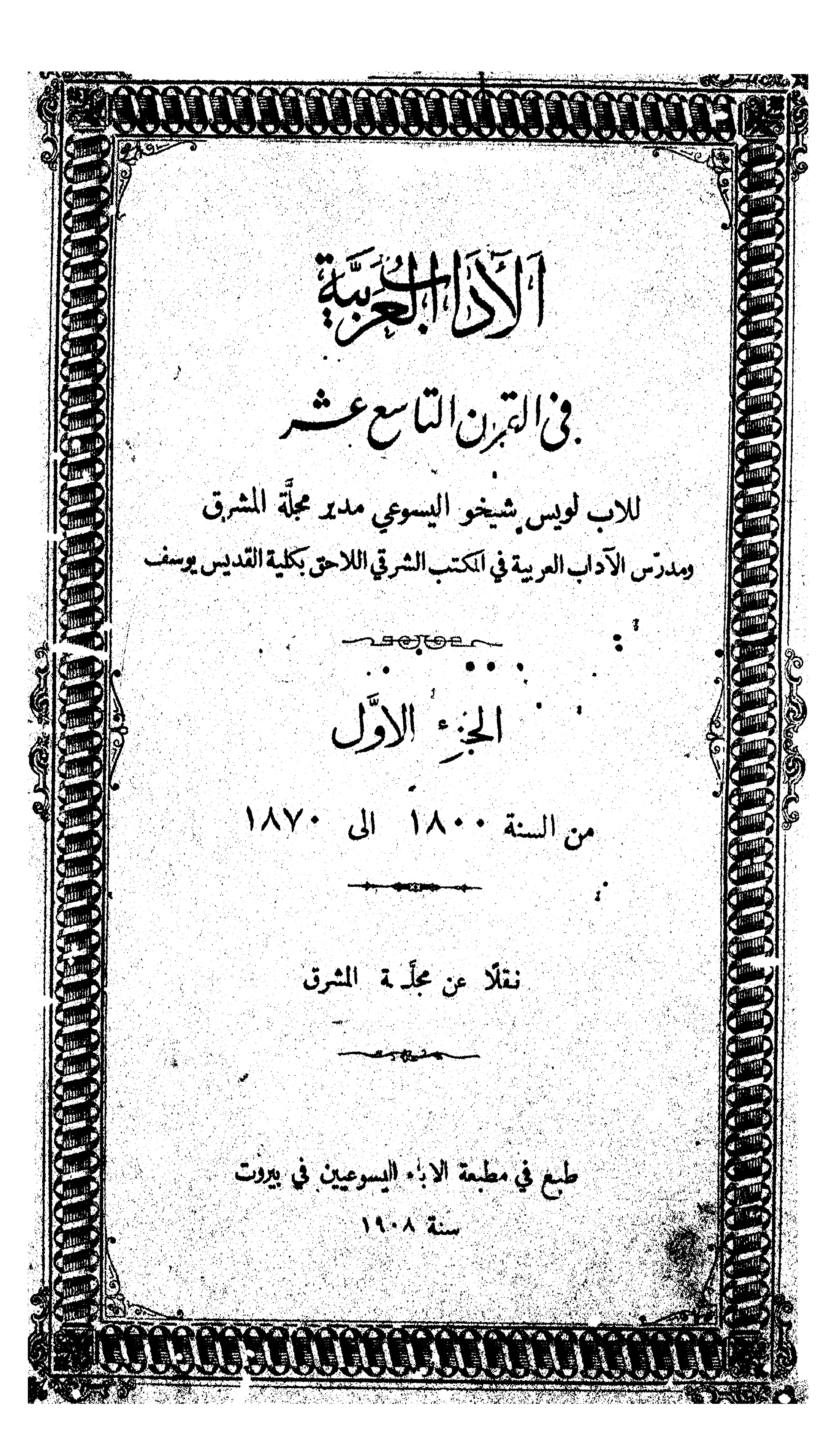


الآداب العربيَّة

في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلَّة المشرق
ومدرّس الآداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القدّيس يوسف

الجزء الاوَّل

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

نقلًا عن مجلَّة المشرق

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩٠٨

۱۶۷۱

گوسل شیخو منسوش

آلہ دات الغوسیہ



الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الآداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الاوّل

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

نقلاً عن مجلّة المشرق

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩٠٨

المقدمة

تحيا الامم بآدابها لانَّ الآداب ترقي المرءَ فوق الحياة المادّيَّة وتسمو به الى المدارك الشريفة وتقرّبهُ الى عالم الارواح والى الجمال الذي منهُ يستعير كل مخلوق جمالهُ وعليه فان اراد العاقل ان يعرف درجة التمدُّن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن انتشار الآداب بين اهلهِ ولذلك ترى المؤرخين يقدّمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربَّما افردوا للآداب تاريخًا قائمًا بذاتهِ يثبت ما يختص بالعلوم والمعارف في كل ملة مخبرًا عن نشأة الآداب بينها واتساع نطاقها واسباب ترقيها ونتائجها الطيّبة في اصلاح القوم وتحسين اخلاقهم ودفعهم الى المشروعات الاثيرة والمساعي الخطيرة

ومن عجيب امور اللغة العربيّة انك لا تجد حتى اليوم تاريخًا لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقة وسواحل اوربَّا وقد احسَّ بهذا النقص فئة من المستشرقين المحدثين في فرنسة والمانية وانكلترة وروسيَّا وايطالية فارادوا نوعًا سدَّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيَّة وتراجم اصحابها وقائمة كتبهم التي صنفوها

على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسَّة فنتمنَّى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع آثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرة بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارئ في اوائل الاسلام وفي زمن الخلافتين الامويَّة والعبَّاسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشارًا كفتح المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك. ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم. وتذكر خمود تلك

الآداب في القرون الاخيرة مبيّنةً لعللها ومعاولاتها ثم تختم ذلك بفصل مطوَّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير

فلا غروَ ان كتاباً مثل هذا يتهافت عليهِ الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم . وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهد الطريق لمن يتوخى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون . فلمَّا انسنا في جمهور القرَّاء اقبالاً على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقلّ تسهيلاً لمراجعتها لبَّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوَّل الذي يتناول تاريخ الاداب العربيـة من غرَّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ وسوف نردفهُ قريباً ان شاء الله بقسمهِ الثاني

هذا ونحن نعلم حق العلم انَّهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بان يتلف القليل ممَّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذه ايدي الضياع واملنا الوطيد بأن يتلافى غيرنا ما يجدوه في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرَّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة . ان شاء الله



الآداب العربيّة

في

القرن التاسع عشر

توطئة

انَّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيهِ بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وجمالًا . على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتَّى فطورًا ينسق ويتعالى وطورًا يتخلَّف بناؤهُ فيصيب بُناتهُ الخمول ولعلَّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتقوّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارتهِ

وكلٌّ يعلم ما كانَ للآداب العربيَّة في القرون السابقة من الرونق والبهاء فترقَّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدَّة اجيالٍ متوالية الى أن خمدت همَّة بُناة صرحها حينًا على وفق سُنن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر :

لكلّ شيءٍ اذا ما تمَّ نقصانُ
وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شأنُ

لكنَّ هذا الخمول والحمد لله لم يدمْ زمنًا طويلًا بل كان ساخًا بين بقعتين طيّبتين او شتاءً بين ربيعَين كما سترى فازدهرت شجرة الآداب بعد جفافها وراجت اسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها في ظلّ الذات الشاهانيَّة ايَّد الله شوكتها

الفصل الاول

الآداب العربية في الشرق في بدء القرن التاسع عشر

لما تنفَّس القرن التاسع عشر كانت احوال اوربَّة في هرج ومرج والحروب قائمة على ساق بين دولها فلم تحط اوزارها الَّا بعد نفي بونابرت الى سنت هيلانة . وكان الشرق راصدًا لحركات الدول يتحفَّظ ويتصوَّن من كل سوء يتهدَّده فيستعدُّ للحرب دبًّا عن حقوقه . فكانت هذه الحالة لا تسمح بصرف الفكر الى العلوم والآداب وقد قيل في مثل « انَّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فان رجح الواحد خفَّ الآخر » . وممَّا نقض حبل الآداب في ذلك العهد قلَّة المدارس يتخرَّج فيها الاحداث فغاية ما كان يُرى منها بعض الكتاتيب الابتدائيَّة لا سيَّما قريبًا من اديرة الرهبان وكان في الحواضر كدمشق وحلب والاسكندريَّة والقاهرة مدارس اعلى رتبةً لكنَّها في الغالب كانت محصورة في العلوم الدينيَّة وما يُحتاج الى اتقانها من المعارف اللسانيَّة كمبادئ الصرف والنحو

امَّا الكتب فكانت عزيزة الوجود اكثرها من المخطوطات الغالية الثمن التي لا يحصل عليها الا القليلون . وكذلك الطباعة العربيَّة كانت اذ ذاك قليلة الانتشار فانَّ مطبوعات اوربَّة العربيَّة لم يكن يعرفها الَّا الأفراد من اهل الشرق فضلًا عن انَّها كانت موضوعة لمنفعة العلماء اكثر منها لفائدة الدارسين . اما المطبوعات في الشرق فلم يكن يوجد منها الَّا في دار السلطنة العليَّة وكانت في الغالب تركيَّة (اطلب مقالتنا في الطباعة . المشرق ٣ : ١٧٠–١٨٠) وفي لبنان كانت مطبعة واحدة عربيَّة وهي مطبعة الشوير وكانت اكثر مطبوعاتها دينيَّة لا مدرسيَّة (المشرق ٣ : ٣٥٩–٣٦٢) . اما مطبعة قزحيَّا فكانت سريانيَّة ولم تتجدَّد الَّا بعد ثماني سنوات بهمَّة الراهب اللبناني سيرافيم حوقا (المشرق ٣ : ٢٥١–٢٥٧) . وكذلك مطبعة حلب التي كان انشأها البطريرك اثناسيوس دباس (المشرق ٣ : ٣٥٥–٣٦٧) فانَّها كانت بطلت بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤ . اما مصر فانَّها حصلت على اوَّل مطبعة عربية قبل القرن التاسع عشر بثلاث سنوات فقط . فانَّ اللجنة العلميَّة التي كانت في صحبة نابوليون كانت أتت بادوات طبعيَّة

تولّى ادارتها المسيو مرسال (Marcel) وممَّا طبعهُ بادئ بدء كتاب التهجئة في العربيَّة والتركية والفارسية (١٧٩٨) ثم كتاب القراءة العربيــة ثم معجم فرنسويّ وعربيّ ثمّ غراماطيق اللغة المصريَّة العاميَّة . وفي سنة ١٨٠٠ عاد مرسال الى باريس وجلب مطبعتهُ معهُ ولم يستأنف المصريّون فنّ الطباعة الّا في ايَّام محمَّد عليّ سنة ١٨٢٢ . وسنعود الى الكلام عنها

ومع قلَّة هذه الوسائل لتحصيل العــلوم وُجد قومٌ من الكتبة الذين خدموا في الدواوين المصريَّة والشاميَّة وكانوا يتولَّون قلم الانشاء فيهـا عند عمَّال الدولة العليّة فينالون في الكتابة بعض الشهرة منهم ابراهيم الصبَّاغ واولادهُ الذين اثبتنا ترجمتهم في المشرق (٨ : ٢٤) وصار ابنهُ حبيب كاتب القلم العربيّ عند احمد باشا الجزَّار فتسلَّم دائرتهُ ثم تغيَّر هذا عليهِ فحبسهُ ومات محبوسًا . واشتهر المعلّم عبُّود البحري واخواهُ جرمانوس وحنَّا عند ابراهيم باشا اوزون القطراغاسي في حلب وفي دمشق ثم عند خلفيه عبدالله باشا العظم ويوسف آغا كنج كما ذكرنا في ترجمة والدهم ميخائيل البحري (راجع المشرق ٣ : ٢٠–٢٢) وذكرنا هناك ما كان لكل واحد منهم من الهمَّة في خدمة الدولــة العليّة واصحابها . اما ابوهم ميخائيل فكان معتزلًا عن الاشغال في بيروت منقطعًا فيها الى العبادة حتى توفي في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٣ . وقد روينا في ترجمتهِ شيئًا من شعرهِ فانهُ كان رُزق من القريحة والذكاء ما حبَّبــهُ الى رجال الدولة وقدَّمهُ في الاعمال وهو لا يزال يُفرغ كنانة الجهد في القيام بالامور وصدق الخدمــة ونشأ اولادهُ على وتيرتهِ وترقَّوا في الرُّتب الديوانيَّة الى ان انتقلوا نحو السنــة ١٨٠٨ الى مصر ونالوا الحظوى لدى امرائهــا (المشرق ٣ : ٢١–٢٢) ومن آثارهم رسائل ومكاتبات واشعار قد تبدَّد اكثرها

وكان في صور ايضًا المعلّم حنا عورا من جملة الكتَّاب اخذ عن ابيهِ ميخائيل الذي كان فريدًا في الكتابة يُحسن الانشاء في العربيّة والتركية والفارسيــة فلمَّا توفّي ميخائيل في سنّ الاربعين نال ابنهُ حنَّا رتبتهُ في ديوان الجزَّار ثم عنــد سليمان باشا . واستخدم معهُ ابنهُ ابراهيم الذي توفّي بعد سنتين بالطاعون . وبقي حنا من بعدهِ زمنًا طويلًا في الاعمــال الديوانيّة . وممّن خدموا ايضًا في دواوين الانشاء في ذلك الوقت الاخوان ابراهيم وخليل النحَّاس ابنا عم حنَّا عورا كتب الاوَّل في عكا والثاني في صور

واشتهر ايضاً بالكتابة في الوقت عينهِ غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيهِ بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دونّا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ : ٦٩٣و٧٣٦) وكذلك فضول الصابونجي واخوهُ . خدموا كلهم احمد باشا الجزّار وذاقوا حلوهُ ومرَّهُ . وفي عهدهم اشتهر عند الامير بشير الشهابي جرجس باز واخوهُ عبد الاحد كما حظي عند الامير يوسف الشيخ سعد الخوري

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرّة القرن التاسع عشر . الّا انَّ شهرتهم في الكتابة كانت دون شهرة السوريين . وممَّن امتازوا اذ ذاك المعلمان القبطيَّان جرجس الجوهري وغالي . فكان الاوَّل رئيس الكتبة في ايَّام ابرهيم بك وحظي لدى محمَّد باشا خسرو ثم نُكب . وقد ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ عجائب الآثار وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥ هـ . (١٨١٠) . وقام من بعدهِ المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياتهِ فصار في خدمة محمَّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متولّياً رئاسة الكتابة . وكان من جملة كتَّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنَّا الطويل والمعلّم منصور صربمون وبشاره ورزق الله الصبَّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاوس . وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممَّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربيَّة في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة من العلماء المسلمين . نريد المدرسة الازهريَّة التي مرَّ في المشرق وصفها (٤ : ٤٩) . وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي . ولدهُ في شرقيَّة بلبيس سنة ١١٥٠ هـ . (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليهِ مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاتهِ في ٢ شوَّال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدَّة تصانيف دينيَّة في التوحيد والعقائد والتصوُّف . ومن تآليفهِ مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيَّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرَّة

وممَّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمَّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام . توفّي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميَّة كثيرة وانَّما مدارها على الفقه ومتعلّقاتهِ خاصَّةً

ومن أدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم بشيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيَّة واللسانيَّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ النثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئًا في عجائب الآثار (٣: ٣١٣–٣١٥) من ذلك قولهُ في وصف دار ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ يروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ... ورونقهُ يشفي الصدورَ سرورُهُ
سما في سماءِ الكونِ فابتهج العلا ... برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ ترائيهِ بهجةً ... وقُلّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ ... وتنمو على كل البدور بدورهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخًا ... حمى العزّ بالمولى الجبرتيّ نورهُ (١١٩٢)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمري الشهير بابن عبد الهادي القادري الدمشقي الخلوتي لهُ تأليف في تراجم اسلافهِ العلويين سمّاهُ المواهب الاحسانيَّة في ترجمة الفاروق وذريتهِ بني عبد الهادي. توفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

☆

وممَّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة الاجلاء. فكان يسوس الطائفة المارونيَّة البطريرك يوسف التيان الذي كان تخرَّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرَّز بين اقرانهِ في العلوم فلمَّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيّتهِ لاسيَّما الاكليريكيين. ومما عُني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان فصارت هذه المدرسة بهمّتهِ منارًا استضاءت بهِ الأُمة المارونيَّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وادباء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفي في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠ وكان تنزَّل قبل ذلك بعشر سنوات عن البطريركيَّة

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضًا لبطريرك يحبُّ العلوم ويهتمُّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز لتهذيب ابناء

ملتهِ في العلوم الاكليريكيّة سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨:٨٠٥) الرسالة التي وجَّهها الى طائفتهِ في هذا الصدد

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيّب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياتهِ في المشرق ٣:٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان . ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعًا بالعلم وهو الذي عرَّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلَّدين وكتب ترجمة عمهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩:٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوَّل وكان رجلًا عريقًا بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفته مدرسة في بزمَّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة موردًا يستقي منهُ المرشَّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظَّم معهُ مدرسة بزمَّار ورتَّب قوانينها (اطلب المشرق ٩:٣٦٦)

وفي اوائل ذاك العصر عينهِ ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنَّان هرمزد وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلًا غيورًا يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجَّار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريبًا من القوش ديرًا جعلهُ كمقام للعيشة النسكيّة والعلوم معًا . وفيهِ تخرَّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميَّة بين الكلدان

فترى ممَّا سبق انَّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرةٍ بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقَّى الى ان جرت في مضمار الاداب جري المذكيات السوابق

الفصل الثاني

الآداب العربيَّة في اوربَّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجه الآن الانظار الى احوال الاداب العربيَّة بين الاوربيين في مفتتح

القرن التاسع عشر ليظهر للقرّاء كيف تمّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيَّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقيَّة عمومًا والعربيَّة خصوصاً امرًا مستحدثًا بين علماء اوربّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيَّة ولو تتبّعنا الآثار المنبئة ببيان هذه القضيَّة لتعدّدت لدينا الشواهد لاسيَّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنَّ تلك الحركة زادت قوَّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكيَّة كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية فممَّن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيَّة واعتنوا بنقل الآثار العربيَّة الى اللاتينيَّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيس دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢—١١٥٦م) وكان رحل الى الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأُعجب بآدابهم فلمَّا عاد الى ديرهِ عُني بانتقاد كتبهم. وفي عهدهِ عُرف جيرَرد دي كريمونا (١١١٤—١١٨٧) وكان مولعًا بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان أتقن درس العربية فترجم الى اللاتينيَّة نحو ستين مصنَّفًا جليلًا لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيَّات والهيئة والطبّ طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

ولما أُنشئت في ذلك القرن رهبانيَّتا القديسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي، صرف من ابنائهما عددٌ يُذكَر عنايتهم الى درس العلوم الشرقية. فانَّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣—١٢٨٠) لمَّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كليَّة باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيَّة ويستعين في تحصيل معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزَّالي. وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوتهِ في الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥—١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات الساميَّة في كليَّة اوربّة. واهتمَّ رؤساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظَّمة يعلّمون فيها العبرانيَّة والعربية والسريانيَّة في باريس وبلاد الكتلان. امَّا الرهبان الفرنسيسيُّون فلم يكونوا اقلَّ غيرةً في تخصيص بعض طلبتهم بدرس

العربيّة . اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيَّة سنة ١٢١٧ ونقل عددًا وافرًا من تآليفها . واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bacon) (١٢١٤–١٢٩٢) فريـد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيَّة والطبيعيَّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقيَّة وعلى الاخصّ العربيَّة

امَّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كلَّ ملوك اوربَّة في تنشيط درس اللغات الساميَّة التي منها العربيّة . وممَّا يُذكر فيشكر انَّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدَّم بفتح مدرسة للغة العربيَّة في باريس في العشر الاوَّل من القرن الرابع عشر . ولمَّا عُقد في ڤينة المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تُنشأ مدارس للغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنســة وفي بولونية واكسفورد وسلمنكة على حساب الرهبان والاكليروس . وممَّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يُتمّ فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيَّة

ولمَّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوَّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣ : ٨٠) ووليهُ اسقف نابيو من اعمــال كورسكا اغوسطينوس جوستنياني الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منهــا العربيَّة سنة ١٥١٦ . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيَّة اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربيَّة في رومية علَّم فيها الاب حنَّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينيَّة كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمــال المجمع التريدنتينيّ . ثمَّ زاد اهتمام الكرسيّ الرسولي بتعليم العربيّة والعبرانيّة والسريانية لمَّا أُنشئت المدرسة المارونيَّة ونقل المرسلون الى مكتبــة الڤاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيَّة بينها المتون من تآليف العرب اقتنوها بايعاز الباباوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠ : ٢٥) . ثمَّ اتَّسعت تلك النهضة في كلّ اقطار اوربَّة فتوفَّر عــدد الدارسين للُغات الشرقيَّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لاسيما خزائن كتب باريس ومجريط وليدن واكسفرد ولندن ونُشرت تآليف عربيَّــة جليلة لأَعظم أُدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبُّوا على دراسة العربيَّة انصبابًا بلَّغ بهم الى أن

أتقنوا اصولها وألَّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيّة ومنها ادبيَّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنَّفات الاوربيَّة . وهو بحثٌ نستوفيهِ يومًا ان شاء الله

لكنَّ هـذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لما طرأ على انحاء اوربَّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيَّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتَّمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصًا اللغات الحيَّة وفي مقدَّمتها العربيَّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشئ بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيَّة العمليَّة في عواصم شتَّى من الممالك الاوربيَّة . وتلك المدرسة لم تزل تترقَّى في معارج التقدُّم الى يومنا هذا خرج منها عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم . وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة اعياد شائقة قبل ١٢ سنة بنسبة يوبيلها المئوي وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها . وممَّا اضافتهُ هذه المدرسة الى تعليمها لغات الشرق الاقصى اي الصينيّة واليابانيَّة والانَّامية . وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيَّة والهندستانيَّة وفيها يدرس الذين يترشَّحون للمناصب القنصليّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير المستشرقين وإمامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكرهِ الطيّب قريبًا والآخر لويس لنغلاي (L. M. Langlès) (١٧٦٣—١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديَّة ألَّف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع ولهُ رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٩

وممَّا ساعد على نهضة الآداب الشرقيَّة في اواخر القرن التاسع عشر بعد هبوطها الجمعيَّاتُ الاسيويَّة كان الفضل في تشكيل اوَّل جمعية منها في باتاڤيا من اعمال الهند الهولنديَّة سنة ١٧٧٨ لكنَّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديَّة . ثمَّ انشأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣—١٧٩٥) جمعيَّة اسيويَّة عموميّة في

كلكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحاً عظيماً . وكان منشئها من افاضل المستشرقين لهُ عدَّة تآليف في فنون العلوم الشرقيَّة من جملتها شرح المعلّقات في الانكليزيَّة . وعلى مثال هذه الجمعيَّة عُقدت محافل اسيويَّة أُخرى في الهند لاسيما محفل بنغالي سنة ١٧٨٨ . وهذه النوادي العلميَّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنّها افادت بما نشرتهُ من المصنّفات الادبية والصناعيَّة والتاريخيَّة والعلميَّة في مجلّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعهُ جارياً حتَّى الآن

امَّا المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غِنِي (J. de Guignes) (١٧٢١—١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيَّة في مكتب باريس العلميّ ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلَّدات ضخمة . ثمَّ انكتيل دوبرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١—١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيَّة ثمَّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديَّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اول من نقل كتاب زرادشت المعروف بزند أوِستا الى الافرنسيَّة وبعض كتب البدّ (Védas) ولهُ مقالات عديدة في مجلَّة العلماء . ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣—١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيَّة العامية وألف معجمَين عربي فرنسويّ وفرنسوي عربي وكتب في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفّي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦—١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف . وهو الذي كتب « رحلة اناكرسيس » الشهيرة ضمَّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم . وقد حذا حذوهُ المرحوم جميل مدوَّر في كتابهِ حضارة الاسلام في دار السلام

وممَّا زاد الفرنسويين ترقياً في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضاً من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلُّم العربية بين المصريين . وكانت فئة من السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبَّاغ ونيقولا الترك وغيرهما . فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيَّة ولمَّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من الفرنسويين الذين كانوا انقطعوا الى درس العربيّة وألّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَايسك (J. J. Reiske) (١٧١٦—١٧٧٤) نشر عدداً كبيراً من كتب العرب ونقلها الى اللاتينيَّة وعلّق عليها التعاليق كمقالات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلّقة طرفة . ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علّم اللغات الساميَّة في غوطا وصنّف التصانيف المفيدة في العبرانيَّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها. واشتهر تيكسن (O. G. Tychsen) (١٧٣٤—١٨١٥) لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلاميَّة

واشتهر غير الالمان السويسريّ بوركهرت (J. L. Burckhard) (١٧٨١—١٨١٧) الذي طاف في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ الى الشام ومصر وبلاد العرب . ومن جملة كتبهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة .

وكانت العربيَّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزَّزة في انكلترَّة في كليّتي كمبردج واكسفرد . وكان في اكسفرد مطبعة عربيّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقيَّة متعدّدة نخصّ منها بالذكر تآليف ادورد پوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤—١٦٩١) وابنهِ توما . وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدَّةً في حلب ثمَّ درَّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق . ونال الشهرة بين الانكليز في الشرقيّات في خاتمة القرن الثامن عشر كَرْليل (J. D. Carlyle) (١٧٥٩—١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمَّ تولّى تدريس العربية في كليَّة كمبردج . لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيَّة ونقل الى اللاتينيَّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي . وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف وَيت (J. White) (١٧٤٠—١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لاوَّل مرَّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمَّ نقلهُ الى اللاتينيَّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امَّا الهولنديُّون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربيَّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦—١٦٦٧) واربنيوس (Erpennius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schultens) (١٦٨٦—١٧٥٠) وابنهِ جان جاك

(J. J. Schultens) (١٧١٦—١٧٧٨) وكلهم من المبرّزين جعلوا مدينة ليدن كمنار الآداب الشرقيَّة وابرزوا في مطبعتها المؤلفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدَّاد وتاريخ تيمور لنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة · وممَّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالحواشي · ومنهم شيد (J. Scheid) (١٧٤٢—١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيَّة والَّف كتابًا في اصول العربيَّة ونشر منتخبات ادبيَّة شتَّى

وبرز بين النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (F. de Dombay) (١٧٥٦—١٨١٠) نشر تاريخًا للعرب ثم انقطع الى درس احوال مرَّاكش فابرز عدَّة آثار مختصَّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مراكش وغير ذلك · واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠—١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة وله من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيَّة

وكان الدنيمركيُّون ايضًا قد وجَّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣—١٨١٤) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوَّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلَّدات اضاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ · ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٣—١٨٠٩) خرج من بلاد دنيمرك وتوطَّن رومية العظمى وصار كاثوليكيًّا وانقطع الى درس الآثار الشرقيَّة لاسيا آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصًا الرهبان · وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠—١٧٩٥) عاش مدَّة في فلسطين والشام ودرَّس العربية لمرسلي رهبانيَّتهِ وقد صنَّف كتبًا مدرسيَّة في الاسبانيَّة لتعليم العربيَّة · اخصُّها غراماطيق ومعجم كبير للمفردات ومختصر التعليم المسيحيّ · وفي عهدهِ كان الراهب حنَّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠—١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين برتغاليين وتخرَّج على يد المرسلين ثمَّ رحل الى وطنهِ ودخل الرهبانيَّة

الفرنسيسيَّة وعلَّم اللغة العربية في لشبونة · ومن مطبوعاته كتاب الالفاظ البرتغالية المشتقَّة من العربية · وكتاب نحو العرب ونصوص عربية لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليُّون فانَّهم لم يسهوا عن درس لغات الشرق ومآثره فربح منهم شكر العموم غريغوريو روزاريو (R. Gregorio) الكاهن البالرمي (١٧٥٣—١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلية وتاريخها واحوالها لاسيَّما في ايَّام العرب فألَّف في ذلك التآليف الواسعة في عدَّة مجلَّدات ضخمة نخصّ منها بالذكر كتابهُ « الآثار العربية في تواريخ صقلية » ضمَّنهُ كتابات ونقوشًا بديعة واوصافًا غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحالة ج · ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦—١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام ومصر ودوَّن اخبار رحلته وعنها نقلنا في المشرق (٨ : ١٥٨ و ١٢٠) وصفهُ لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربَّة · فان ذلك القرن هو قرن السماعنة الذين أشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفًا للنشاط في تعطيل العقبات واحياء مفاخر الشرق · اوَّلهم وإمامهم المونسنيور يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧—١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أُخرى لا تُحصى (١) · ثمَّ اسطفان عوَّاد السمعانيّ نسيبهُ (١٧٠٩—١٧٨٢) · ثمَّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠—١٧٨٢) ثمَّ شمعون السمعاني (١٧٥٢—١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثمارًا طيبةً من دوحتها الفاخرة تعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوَّلة وقصيرة · وكان مُجمل اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنَّهم ايضًا اخرجوا من زوايا النسيان عدَّة تآليف عربيَّة لاسيما في التاريخ والمآثر الدينية والادبية · وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الَّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر — ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرَّفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القس ميخائيل الغزيريّ وهو ايضًا من تلامذة الآباء

---

(١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برنامج اخويَّة القديس مارون للاديب يوسف افندي خطَّار غانم (ص ١٠٥—١١٣) اطلب ايضًا كتاب سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (٢٠٩—٢١١)

اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبنانيّ سنة ١٧٣٦ ثمّ درّس اللغات الشرقيّة وتعيّن ترجمانًا لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعماله الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلّدان كبيران يدلّان على سعة معارف صاحبهما طُبعا من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيّة والعربية — واشتهر منهم ايضًا في ڤيَنّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيّة ونحوها وضعهُ لتلامذتهِ في اللاتينية وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤيَنّة

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرّاء حالة الدروس العربيـــة في مُنتهى القرن الثامن عشر وانّما يترتّب علينا الآن ان نقتصّ آثار الكتبة الذين زيّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنّفاتهم. وانّنا نقسم ذلك فصولًا ليسهل على المطالع تتبّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمال

الفصل الثالث

الآداب العربيّة في غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في ايّام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضـل ملوك عصرهِ دمث الاخلاق مغرمًا بالآداب محبًّا لترقية رعاياه في معارج الفلاح. ثمّ صار الملك الى ابن اخيهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدّتهُ وكان كالسلطان سليم هائمًا بترقّي شعبهِ ساعيًا في اسباب نجاحهِ في فنون الآداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسـهِ:

تولّى التخت سلطان البرايا وايّدهُ الالــهُ بمرتقاهُ
فصاح الكون لمّا ارّخوهُ نظـام الملك محمودٌ جاهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيهـا عدّة تآليف عربيّة فضلًا عن المصنّفات التركية. ويبلغ عدد المصنّفات

العربيّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيفًا واربعين كتابًا كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيّة وكحاشية السيلكوتي على مطوّل التفتزاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أُخرى نحويّة وصرفيّة (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك ممَّا مرَّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الاستانة (المشرق ٣: ١٧٤-١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عددًا (اطلب الجلد ١٤ ص ٤٩٢-٥٠٧). وكان الولاة يساعدون السلاطين العظام في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وكذلك في مصر كان محمَّد علي باشا راغبًا في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيَّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتخذها في ايام بونابرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة سنة ١٨٢٢ وكان اوّل كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطالياني عربيّ وأُردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيّة والتركيّة والفارسيّة (1 الّا انَّ الكتب العربيّة المهمّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدّة وانّما جُدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة قبلًا في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انَّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابناء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظَّمة بل نبغوا بشغلهم الخاصّ تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء

ونبتدئ هنا بذكر الكتبة الذين خصّوا نفوسهم في تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٢٤٤) الشيخين عبد الله الشرقاوي وحسين ابن عبد الهادي. وممَّن يضاف اليهما السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجّة سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان مولعًا بالدروس الادبيّة واخبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) «انّ الفرنساويّة عيّنوهُ في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانَّ القوم كان

(1) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As. 1843, II, 31-38)

لهم مزيد اعتنــاء بضبط الحوادث اليوميَّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمَّ يجمعون المتفرّق في ملخَّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخًا عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتَّى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم . فلمَّا رتَّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امرٍ او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرَّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضَّة فلم يزل متقيدًا في تلك الوظيفة مدَّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم ». فهذه كما ترى جريدة يوميَّة وهي اوَّل جريدة ظهرت في العربيَّة وكان الجبرتي رأى منها عدَّة كراريس . وذكر ايضًا لاسماعيل الخشَّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطَّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلَّامة عبدالله بن حسن الجبرتي وُلــد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣–١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١: ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر . جعلهُ بونابرت من كتبة الديوان فاحرز لهُ عند الجميع اسمًا طيّبًا . وانقطع الى الكتابة والتأليف . وفي آخر حياتهِ قُتل احد اولادهِ في حيّ شبرا فبكاهُ بكاءً مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعهُ في القبر . وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديويَّة (٥: ٨٣) انهُ توفي مخنوقًا في رمضــان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) . وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الآداب العربيَّة (١ مولدهُ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط . اما تاريخهُ فيُدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جاريًا في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل للقطر المصريّ الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيــهِ قسمًا كبيرًا من تاريخ آخر وصف فيهِ وقائع بعثة بونابرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦ (١٨٠٢) . وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة منذ عهد قريب بهمّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون . وقد ترجم الفرنسوي كردين (A. Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس

(١) اطلب (Ch. Huart: *Littérature arabe*, 415-416)

وممَّن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيّاني كان من عمّال مراكش متوليًا على مدينة وجدة . ثمَّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المُعرِب عن دُول المشرق والمغرب طبع الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسويّ قسماً منهُ يحتوي تاريخ مرّاكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ . والباقي لا يزال مخطوطاً . ولهُ كذلك كتاب « البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف »

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتّب علينا ذكر اصحابها . واوّل من اشتهر في ذلك القس حنانيًا المنيّر احد رهبان الرهبانيّة الحنّاويّة الشويريّة . وُلد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ . وترهّب سنة ١٧٧٤ . اما بقيّة اخباره في الرهبانيّة فلا نعلم منها شيئاً كما أنّنا نجهل سنة وفاته . وممّا يظهر من مآثرهِ ومصنَّفاتهِ انهُ كان رجلًا اديبًا كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفًا بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر . وكان ذلك نادرًا في زمانهِ . وقد نعت نفسهُ في كتابٍ لهُ عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطبّ . امَّا اخصُّ تآليفهِ فتاريخان الاوَّل مدنيّ سبق لنا وصفهُ في المشرق (٤ : ٤٢٨ و ٩٧٢) وهو تاريخ « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » أثبتنا منهُ مقدّمتهُ وبعض فقراتهِ . وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩ هـ . (١٦١٧ م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة . ومن هذا التاريخ قد استفاد الامير حيدر الشهابيّ في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

امَّا التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيّة الحنّاويّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) . وليس هذا التاريخ كلهُ دينيًّا فإنَّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ . والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريبًا وكلا التاريخين نادر قد امكنَّا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقيّة . ولابن المنيّر ما خلا ذلك تآليف شعريّة وادبيّة نذكرها في باب الأدب

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبّاغ

كانا حفيدين لابراهيم الصبّاغ طبيب ظاهر العمر (اطلب المشرق ٨: ٢٦) اسم احدهما عبود بن نيقولا بن ابراهيم والآخر ميخائيل. وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرّجا بالآداب على اساتذة القطر المصري(١. ثمّ لمّا قدم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة. وقد اتّسعنا في المشرق (٨: ٣١-٣٣) عمّا خلّفهُ ميخائيل من التركة العلميَّة الثمينة اجلّها قدرًا تآليف تاريخيَّة لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اسرتهِ بيت الصبّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيَّة الكاثوليكيَّة. ولهُ ايضًا متفرّقات ضمّنها تاريخ قبائل البادية في ايّامهِ وتاريخ الشام ومصر. هذا فضلًا عن كتبهِ اللغويَّة والادبيَّة كالرسالة التامّة في كلام العامّة ومسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربّة. ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيّات. امّا عبود فانّ لهُ في مخطوطات باريس تاريخًا (Fonds arabe, *Paris*, 4610) جمع فيهِ اخبار ظاهر العُمر دعاهُ «الروض الزاهر في تاريخ ضاهر (كذا)» وطريقة عبود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلُّ على ضلاعتهما في الكتابة هذا مع ضعف في التعبير لاسيّما في تاريخ عبود الذي يشبه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامّة. وتوفي ميخائيل سنة ١٨١٦ اما عبود فلا نعلم سنة ومكان وفاتهِ

وقد عُرف في عهد الصبّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنّ نضيفهُ اليهما وهو انطون صبّاغ من تلامذة رومية يستحقّ الذكر بما عرّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلّدًا منها كتاب تاريخ الكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩: ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العليَّة ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ مات سنة ١٨٢٨. كان نيقولا محبًا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيبًا صالحًا. وقد خدم الامير بشير الشهابي زمنًا

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨: ٢٩-٣٣)

طويلًا وقصائده فيهِ شهيرة نعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ . اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور ناپوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت ناپوليون ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وعواقبها والحكم في جيّدها وسيّئها . وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الاوَّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمَّة المسيو ديغرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساويَّة وألحقهُ بعدَّة حواشٍ وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ . امَّا النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً . ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمَّنهُ اخبار احمد باشا الجزَّار منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غايةٌ في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٦ هـ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١-١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التقييد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلف تاريخين آخرين لم يُذكَر اسم كاتبهما فالاوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويَّة والنمساويَّة في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة المواقفة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحة من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وُصفت فيهِ وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار ناپوليون في أُسترِلتس . والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe, nº 1684) اسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان » في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اوَّل قدومهم من الحجاز الى حوران ثم الى لبنان مع تفصيل اخبارهم الى ايَّام الامير بشير الشهابيّ ونهايتهُ بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخٌ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلفهُ د انطونيوس ابن الشيخ ابي خطَّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبَّة بشرَّاي من اعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ « مختصر تاريخ لبنان » وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمَّنهُ المؤلف عدَّة امور تاريخيَّة دينيَّة ومدنيَّة على غير ترتيب كما حضرتهُ او ممَّا اقتطفها من تواريخ أُخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلناهُ عنهُ في المشرق (٤ : ٧٦٩, ٨٣٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

وممَّا كُتب في هذا العهد من الاسفار رحلةٌ لاحد الحلبيين « فتح الله ولد انطون

ابن الصائغ اللاتيني » الذي رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام فجهات العرب وقد وصف ما جرى لهما من الاخبار وضمَّن رحلتهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الَّا انها قليلة التهذيب لا تكاد تخالف لغة العامَّة والكتاب يُصان في خزانة باريس (Fonde arabe, n° 2298)، وقد وقف الشاعر الفرنسويّ لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمة الى الافرنسيَّة في كتابهِ الشهير « سفرٌ الى الشرق » (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥—٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمناً طويلًا وسيعود اسمهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقَّى العلوم عن اعلام عصرهِ وفحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولَّى النيابة في وطنهِ بعد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألَّف كتاباً سمَّاهُ « الارشاد بمعرفة الاجداد » ضمَّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمَّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهاً شاعرًا توفي سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) اما ابنهُ محمَّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م)

الشعر والادب

انَّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقهما كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيهما الَّا بعض الافراد في مقدَّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد بن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسني البيروتيّ وُلد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجَّة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبيَّة ومنظومات اخصُّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطّيَّة في المكتبة الخديويَّة (انظر قائمتها ٤ : ٣٢٨) يبتدئ اوَّلها بقولهِ « حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذّ من سلافة العصر ». وقد طُبع من هذه المقامات مقامة « المفاخرة بين الماء والهواء » في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣). ولهُ بديعيَّة علَّق عليها شروحاً مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين

مخطوطات براين (ع ٧٣٨٨) ولهُ «كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ» وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنونًا من الآداب وفصولًا في كلّ علم من العلوم. والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر. امَّا البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان:

ان مرَّ والمرآة يومًا في يدي ... من خلفهِ ذو اللطف أسما مَنْ سما
دارت تماثيلُ الزجاجِ ولم تزلْ ... تقفوهُ عدوًا حيثُ سار ويمَّما

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنَّها متفرّقة. وكنَّا قد نشرنا منها شيئًا في المشرق (٣: ١٤-١٨) مما دار بينهُ وبين مخائيل البحريّ من المراسلات الادبيَّة. ثمَّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنُخبة أُخرى من اقوالهِ الشعريَّة تجدها في مجلّتنا (٤: ٣٩٦) ولعلَّ السيّد احمد البربير نظم ديوانًا كاملًا لكنَّنا لم نقف لهُ على اثر ومما قرأناهُ من لطائفهِ قولهُ في طبيب:

رأيتُ طبًّا لـهُ نفارُ ... يتيهُ في مشيهِ دلالا
فقلتُ من انت يا حبيبي ... هل راحمي انتَ قال لا لا

ولهُ في التوحيد:

لقد آمنتُ باللهِ ... واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوّل والآخر ... م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجن نفسي ... ومن حظوظي والجاهْ
وفي جميع اموري ... اسلمتُ وجهي للهْ

وقال في كبح الشهوات:

انَّ الذين يجاهدو ... نَ النفسَ شبَّانًا وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم ... وأثابهم فتحًا قريبا

وقال في تاجر سها عن الآخرة:

يا تاجرًا لا يزالُ يرجو ... ربحًا ويخشى من الخسارهْ
عبادةُ الله كلَّ حينٍ ... خيرٌ من اللهو والتجارهْ

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلَّها ابو السعود محمّد بن علي فقال يصفها:

يا دارَ اسعد باشا لكِ النعيمُ المخلَّدْ ... بطلعة ابن عليٍّ ابي السعود محمَّدْ
بدرٌ يزيد كمالًا من النجوم تولّد ... ذو همَّةٍ غار منها حدُّ الحسام المجرَّدْ

أما ترى السيف منها في جفنهِ بات مُغمدْ
واطفهُ في البرايا ممَّا فشا وتأكدْ
حتى غدا كلُّ شخصٍ بهِ يقرُّ ويشهدْ
كأنهُ من نسيم الـ ـقَبُول بات مجسَّدْ
أما ترى ورد خدّ الـ ـرياض منهُ تورَّدْ
والبحر لمَّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليهِ تردَّدْ
فتى بهِ ابيضَّ حظّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيّدي عش سعيدًا فانَّ جدَّك اسعدْ
وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ بشارة عدلٍ بها الفراسةُ تشهدْ
واسلمْ ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرَّدْ

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لمَّا توفي سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) :

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَنْ في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قومٍ عصاه
فان يكُ من عيوني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواهُ
فلمَّا سار للفردوس فورًا وقرَّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُعطى سناهُ
فمهملُهُ ومعجمهُ وكلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للترب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصُّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكنَّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا الَّا انَّ شعرهُ مفقود ومما يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحري لما جاء بيروت في ايام الجزَّار:

ولمَّا أتى البحريُّ بيروت زائرًا الينا فكم أهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدع أنْ أُهدي لهُ الدرَّ ناظمًا فناهيكَ انَّ الدرَّ يبدو من البحرِ

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (١٠ : ١٧ : ١٨٠) . ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيّد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمَّد البكري الدمياطي الاصل واليافيّ المولد ولد سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل إلى مصر وأخذ عن ائمَّتها . ثمَّ عاد الى غزَّة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرَّة ذي الحجَّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي نترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رنَّانة اوَّلها :

قسيُّ المنايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعدُ
دُهيتُ برزءٍ لا يُطاق عناؤهُ وكربٍ وحزنٍ ما لغايتهِ حدُّ

وهي طويلة . ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر تقولا الترك وقد ضمَّن فيه اسمهُ عُمر :

شمس العلوم تبدَّى نورًا الى كلّ راء
مقرُّها ضمن ميمٍ ما بين عين وراء

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص٢٤١–٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمَّد ابي نصر في المطبعة العلميَّة سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتيَّة ولهُ في هذه الطرائق عدة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديَّة ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك. ومن ادبيَّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين . اما شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المبنى كثير التفنن فيهِ قسمٌ للموشَّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طُرَفًا تنويهاً بفضلهِ. قال في الاعتصام والثقة بالله:

انا بالله اعتصامي لا ارى في ذاك شكَّا موقنًا ان لا سواه كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالًا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبهذا اتزكَّى
ربِّ وفّقني لرشدٍ ثم هبْ لي منك مُلكا واحمني من كلّ سوءٍ وقني شرًّا وشركا
واصرف الاعداء عني وامحُهم هتكًا وفتكا واغفر الذنب بلطفٍ وافككِ الاكدار فكًّا
وأنلني كلّ فضلٍ من ضياء الشمس اذكى وأذقني يا الهي لذَّةَ القربِ المزكَّى
في رياض الأمن ممَّا اختشي فعلًا وتركا انَّ ألطاف إلهي قالت خلِّ عنكا
لا تدبّرْ لك امرًا نحن أولى بك منكا فاتركِ التدبير تنجو فأولو التدبير هلكى (١

ولهُ مستغيثًا مبتهلًا من قصيدةٍ :

الهي الهي ليس الّاك يُرتجى وحقّكَ ما وافيتُ غيرك راجيا
ومن ذا الذي اشكو لهُ سوء فاقتي ويعلمُ قبل المشتكى سوء حاليا
لقد دكّ دهري طودَ قصري فأصبحت منازلُ قصري بالخطوب خواليا
وفوَّق لي الخطبُ المبرّحُ اسهمًا من الوجدِ والتبريح فيها رمانيا
وشنَّ ليَ الغارات تعدو وقد غدت عليَّ بعادي الجور تعدو العواديا
فيا ربّ ما للعبدِ في الدهر ملتجًى سواك فانّي بالتضرُّع لاجيا

---

١) مرجع هذا قولهم في المثل السائر: المرء في التفكير والله في التدبير

تدارك بألطافٍ وأسعفهُ بالمنى وحقّق لهُ فضلًا لديك الامانيا

ومن جيّد قوله ما كتبهُ في برّ الوالدين :

كم جرَّ برُّ الوالدَيـن فوائدًا للمرء جمَّه
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمَّه
واخو العقوق كميّتٍ قد صار في الأحياء رُمَّهْ
والكلبُ احسنُ حالةً منهُ وأحفظ منهُ ذمَّه

ومثلهُ ما قال :

فاز بالدَّارَين حاوي الحسنيَينْ طاعة الله وبرّ الوالدينْ
فاغتنم برّهما واصبرْ لهُ فهما في الدهر ليسا خالدَينْ
طالما جادا باحسانهما لك والاحسانُ عند الحُرّ دَين

وقال من قصيدة يمدح فيها سليمان باشا لمَّا وُلّي دمشق :

هي دولة المولى سليمان الزما ن ومن حوى في عزّهِ تقديما
فكأنَّ جلّقَ اصبحت ذاتَ العما دِ الى العبادِ وجنَّةً ونعيما
لاحت كواكب سعدها من دولةٍ قد خيَّمت بسعودها تخييما
بدرٌ بدولتنا العليّة لاح من فلكِ السعود متمماً تتميما
ولهُ السعادةُ في منازلِ جلّقٍ ولهُ الامارة سُلّمت تسليما
ساس الورى بسياسةٍ وفراسةٍ وحماسةٍ وغدا بذاكَ حكيما
الله اكبرُ جلَّ ناصرهُ الذي اعطاهُ عزًّا في الانام جسيما
بشراهُ سوف يرى مقامًا فوق ذا وينالُ سعدًا في الوجود عظيما

ولهُ تاريخ في جلوس السلطان محمود الثاني سنة ١٢٢٣ (١٨٠٨)

جلوس سلطاننا المسعودُ طالعهُ عِزٌّ كبيرٌ لهُ في الملك تأييد
أبشر وبشّر اذا ما أرّخوهُ وطِبْ فالدهرُ اشرقَ والسلطان محمودُ

ومن محاسنهِ قوله في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسنًا ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوقِ رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهرا

ومن أوصافهِ قولهُ يذكر دير عطيَّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حادي الرَّكب سِرْ وحثَّ المطيَّه لديار العطا بدير العطيَّه
فبتلكَ الربوعِ تلقى ربيع الـ أُنس فاحت ازهارها العبهريَّه
جنَّةٌ قد تزخرفت في رباها بثمار من البهاء جنيَّه
تجري من تحتها المياه بأنها ر التهاني للواردين مريَّه

وجواري المياه ترقص لمّا شبّبَ الريحُ يشجي منها الشجيّه
وغصون الرياض تهتزّ تيهاً حيثُ غنّت نسائم سَحَريّه
حبّذا حبّذا معاني الاغاني لتهاني المعالم الانسيّه
وبها للبها لوامعُ نورٍ بضياءٍ من الجمال جبيّه

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جعمان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاتهِ ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك:

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي عقدًا بديعاً جميلا
صحيح معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
يا درّ درّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
قسّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر نيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا
فيا يومٌ اتانا منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمعي سماعها مستنيلا
حتّى تشنّف منها وهام فيها ذهولا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب دارشيحا روى لهُ قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال:

واصبو الى لبنانٌ وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمّل الله عزّها وشرّف منها اربعًا وطلولا
وبالجنبلاطيّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرّة طولا

فتى ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسم حاز الكمال جميلا
همام اذا ما الحرب شدَّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفات سلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارة العزّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنَّاتِ عدنٍ قصورُها وانهارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلّلها من صيّب السما اكليلا
وبابن عليّ عظَّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نترلا الترك :

هاتِ زدني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلَّةً ونُقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضلَ منهُ وبما نال ينبغي ان نقولا
عيسويٌّ حوى اللطافة حقًّا صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فمنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ الفلماوي مصطفى بن محمَّد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمَّاهُ اتحاف الناظرين في مدح سيّد المرسلين (١. وُلد سنة ١١٥٨ وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمَّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمَّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدَّم في المناصب

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤: ٢٢٧)

وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م). لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستنيم الناعس. وخدم البعثة الفرنسويَّة العلميَّة لمَّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمَّد الدسوقيّ وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤ : ٢٣١) «لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل» وعدَّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيَّة والفقهيَّة. توفّي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلَغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) روضة الاحبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية. وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit. Mus., n° 1266)

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثماراً جنيَّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلَّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيَّة

---

١) اطلب الجبرتي (٤ : ٢٣٣) وكتاب الآداب العربيَّة لهوارت (Cl. Huart: *Littérature arabe*, 417)

واوَّل من نذكر منهم رجل عصرهِ الذي ترجمناهُ سابقاً في المشرق (٣: ٩-٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنناً بالآداب العربيَّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ:

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الَّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنَّا روينا في المشرق (٣: ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمَّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً:

لكَ الرحمات يا لحدًا ثواهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ امسى ... ويا اسفي لدرٍّ في ثرائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريَّ علمًا ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمَّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلم الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخْ ناطَ فوزًا ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّيَّة كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبُّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلُّبهُ في المناصب العاليـة عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدَّة رسائل دوليَّة واهليَّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبُّود البحري قال الترك في موشَّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق:

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وشدت من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الَّا البحارْ
زُمَر الكتَّاب طرًّا والملا ... من أُولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم تراهُ جاذبًا ان رَقَما ... معدنَ الارواحِ كالمغنطيس
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقَ الطرسِ

وممَّن مدحوا عبُّود من الشُّعراء سليمان سوله قال فيهِ:

مولى أبي الفضلُ الَّا ان يلازمَهُ ... فلم يقمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
لله منهُ ملاكٌ يرتقي فرسًا ... وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تُخجل الابحار بالكرم الـ ... ـزخَّار والذابل الخطَّار بالقلمِ

اضحى لدائرة المعروف والكرم الـموفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تَدُمِ
اهديكَ ياخلَفَ البحريّ عاتقةً لعاتقِ المجدِ تهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها اعلى واغلى من الياقوت في القِيَمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلة قال فيها:

يا للمنيَّة قد جازت وقد غدرتْ ببدر فضلٍ لهُ الاداب هالاتُ
مولى اليراعة عبدالله مَنْ فُقِدت لفقدهِ وانقضت تلكَ اليراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ دررًا تقلَّدت بلاَلِيها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ تفاخرت ببديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلماً يوماً انامِلهُ الَّا نَبَتْ مشرفيّات صقيلاتُ
لمَّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفاً من اليراعة دالاتٌ وميماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرَّةٍ (ص ٢٨٧ ٣٠٢,٢٨٩) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحرِ الَّا انَّهم دررُ العُلَى واهلُ الوفا لكنَّ دأْبَهمُ البرُّ
وما منهمُ الَّا نبيهٌ مهذَّب نراهُ بديوان اليراع هوَ الصدرُ
بجرمانسٍ ساد الحسابُ واصبحتْ دفاترهُ الزهراءُ يعشقها الزهرُ
يريك اذا هزَّت يراعاً بنانهُ عقودَ جماناتٍ معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنَّا بانشائهِ الصبا فرقَّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوءابات الحسان اذا انتضى ليكتب سطرًا انَّما ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج اليراعة والنُّهى وابناءُ بيتٍ مهدهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت:

تلقَّاهُ الاله يقولُ أرِّخْ رثِ المُلْكَ المعدَّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامهِ:

برٌّ بغفران الاله مؤرِّخٌ ومُنعَّمٌ في روضة الاملاكْ

وتاريخ وفاة ابرهيم البحريّ (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حازَ لدي الهٍ مع الأبرار أرِّخْ خير روضه

وكان ميخائيل الصبَّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مؤرّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحبَّ

الاوربيُّون شعرهُ العربيّ فنقلوهُ الى الفرنسيَّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا بيُّوس السابع لمَّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال :

دهُشتْ لرؤية وجهكَ الابصارُ وأضت لرؤيةِ مجدكَ الامصارُ
هذي العروسةُ ياسليمان انجلت في حسنها ولها الفخارُ عظامُ

ومنها في المدح :

اليوم تحسدنا الملائكُ في السما لمَّا نرى ممَّا العقولُ تُحارُ
سامحُ نواظرنا اذ بكَ كرَّرت نظَراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشَّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوَّل سنة ١٨١١ اوَّلهُ :

هلّلوا في الارض يا كلَّ الامم واهتفوا فيها بألحان النغم

ومنها :

ايها القيصرُ بُلغتَ المنى كلُّنا بالبكر خديكَ الهنا
انتَ منَّا مستحقٌّ للثنا قد حبانا ربُّنا هذه النعمْ

وله غير ذلك ممَّا لا نتعرَّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشَّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانَّما تعاطى النظم استعطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيًّا منيَّر الزوقيّ (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ٤١٣). فانه برع

---

(١) افادنا حضرة القس الفاضل جرجس منش المارونيّ انَّ اسرة القسّ حنانيًّا منيِّر (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النير او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الأسر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شرّ الاضطهادات التي اثارها المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالغالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان. ثمَّ انقرضت اسرة المنيَّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد. ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الأول منها بالمنيّر على الاطلاق والثاني غلب عليهِ لقب الحكيم من جدّها ابراهيم المنيّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انَّ القس حنانيًّا تلقَّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ٤١٤) لمزاولتهِ فنّ الطبّ. والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدهم عبد الله بن ارميا من بيت المنيّر. وممَّا ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن

ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤ : ٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسويَّة. امَّا شعرهُ فلم نحصل منهُ الَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقًا (المشرق ٤ : ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدتهُ الرنَّانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكَّا ليتولَّاها بعد وفاة الجزَّار. اوَّلها:

لِهوى الاحبَّـة في الفؤاد مخيّمُ نيرانـهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها: صيدا ابشري عكَّا افرحي حيفا اطربي والقـاطنون جمَّ فليـترنَّموا

كن يا سليمان الوزير مؤازرًا للخاضعـين وجارمًا من يجرموا

واعظم وسدْ وارحم وعُدْ وانعم وجُدْ واسلم ودم بسعـادةٍ لك تخـدم

وختمها بهذا التاريخ:

واذا انتهى شعري بمدحك مرَّةً ارَّختُ يبدأُ بمدحك لا يُختمُ

وممَّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدَّمة تاريخهِ الرهبانيّ

اني لفي عظم الوجـلْ من قُرْبِ أيَّام الأجـلْ

من بعـدهِ لا بُدَّ مـا يمروني في الدين الخجـلْ

اذ انني قضَّيتُ عمري بالملاهي والبَجَـلْ

والحكم لم يُقبَـل بـهِ عـذرٌ ولم ينفع وجـلْ

ألجا لعونـك مريمًا فأعطفي نحوي النجَـلْ

وتشفَّعي بي يا بتو لُ وأدركيني بالعجـلْ

ولمَّا توفي الجزَّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيهـا وارَّخوا وفاتهُ

الياس (بن المنيّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيّر الحكيم) وعبد الله بن ارميا (من بيت المنيّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نعمة (١٧٣٧) وجرجس بن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب بن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠) وترزيا بنت توما (١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧). وليس غير ذلك في السجل الملكي. وكذلك عُرف من افراد هذه الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنير) الذي خدم ابرشيَّة حلب الملكيَّة الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

(اطلب المشرق ٢ :٧٣٨) فقال القس حنانيًا ابياتًا اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤ :٩٧٠)

ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرُّوف لمَّا قتلهُ اليـاس عماد سنة ١٨١٢ اوَّلها :

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ وإلامَ لا يرقـا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي ام في الحشا جذوةُ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد :

يا شمسَ أفق الشرق ذاع ضياؤهُ في الغرب انَّى شمس فخرك تكسَفُ
يا راس كهنة بيعة الله التقي رِئق انت ايضًا في الاعالي اسقفُ
اوَّاهُ وا اسفي ولوعاتي على مَنْ كلٌّ من يدري بهِ يتأسَّفُ
قسمًا فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ بالروح مرتاحًا ولا اتوقَّفُ

وكان القس حنانيًا يتفنن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العامّي غاية في اللطف منها قصيدة في الخمَّارة والعرق لم نحصل عليها . وهو الناظم للقصَّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنَّا اثبتناها اوَّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمَّ وجدناها كما كتبها القسّ حنانيا وهي اوسع واظرف ممَّا نشرناهُ وهذه هي القصيدة كما وقفنا عليها في كتاب مخطوط من ايَّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ :

١ اعدّ بيوت مع قصـدانْ واخـبركم بما قد كانْ طول الليل وانا قلقـانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوت وانا نائم وصار على صدري حائم وقال لي من شهرين صائم
في حسابي خلص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجـادبني علامـك انت تكاربني بالله عليـك لا تتعبني
كل النهـار وانا تعبانْ

٤ قال لي ليس انا جمَّك ان كان سرَّك او غمَّاك عشاي الليـلي من دمَّك
وبكرا يفرجها الرحمـانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريك وبين الناس انشد فيك روح لغيري يعشيـك
واتركني الليلي نعسـانْ

٦ قال لي ما هو عا كيفك وهلليـلي انا ضيفـك عيب عليك يا حيفك
اكون عندك وبات جيمانْ

٧ لا تحسب اني جابك بدور حول جنابك
يجي وبدخل في عبابك ان كنت نائم او سهرانْ

٨ قلت يا برغوت اسمع مني ودعني راقد متهني
وهلّيلي ارجع عني يبقى لك عندي احسان

٩ قال لي شوارك مرذولة ومواعيدك هي مجهولة
وعندي ما هي مقبولة وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلّو وياك يا عقوق بتخدعني وما عندك ذوق
لا يا اسود يا ممحوق وعجزك من قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغير انا ما بفزع من وزير
ولي في الليل نعمل كبير ولا من حاكم ولا سلطان

١٢ بتعيرني بسوادي لأجيك انا واولادي
وانا اليوم لك معادي وبعاملك فعل السودان

١٣ قلتلو ما انا جمك لاحرق ابوك مع امك
ولا اولادك ولا اولاد عمك وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنام لمّا تلبس ثوب الخام
اجيك انا راولادي قوام وعن مسكي تبقى عجزان

١٥ وحالا بتصير تتقلّب وانت تبقى متغلب
وانا في جلدك مكلّب بصبغ جلدك والقمصان

١٦ قلت يا برغوت ان كنت عانق وضوء الشمس يكون شارق
امتحنّي وانا فائق لتنظر من هو الغلبان

١٧ قال انا بالنهار بصوم عند غياب الشمس بقوم
بقضيها ارتياح ونوم وادور حول السيقان

١٨ وان صار لي بالنهار فرصة ولولا خوفي من جرصة
لا بدّ ما اقرص لي فرصة ما كنت بسيّب اسان

١٩ قلت الرهبان لا تقرّجهم روح عنهم لا تعذّبهم
والشرير محاربهم يكفهم شر الشيطان

٢٠ قال الراهب هو ملزوم لئلا يتمادى بالنوم
بالسهر والصلا والصوم ما هو مليح يكون كسلان

٢١ وانا من يومي بجبّه كي يقوم يعبد ربّه
يجي وبدخل في عبّه ويطلب للعالم غفران

٢٢ وانت ما فيك تربطني ولمّا بدّك بتلقطني
وانا ربي مسلطني يصير بفز كالغزلان

٢٣ وبعرف لمَّا بتمسكني ما بتصور تنزكني حالًا بتصير تفرّكني
وفي قتلي بتبقى شمتانْ

٢٤ وانا في اول الليل بتصيَّد بقوة مع حيل وبصير بركض مثل الخيل
وعا صدرك بعمل ميدانْ

٢٥ قلت يا برغوت يا محقور حقًا من جنسك مقهور لا بد ما اعملَّك تنُّور
واحميه بالشوك والبلانْ

٢٦ قال لي كلامك كله فشار قرانيبي واولادي كتار وتربُّوا عند الجزَّار
وتساَّطوا على ابدانْ

٢٧ وعلى ايش حتَّى تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجانْ

٢٨ قلت يابرغوت بالك فاضي وعليك ما انا راضي لا بد اشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمانْ

٢٩ قال حكم القاضي انا عاصيه ومن يومي انا معاديه وفرمانه لا يعمل في
وعليّ ما له سلطانْ

٣٠ قلت يا برغوت قلي كارك واهديني بباب دارك قصدي اقطع جدارك
واحرق نسلك بالنيرانْ

٣١ قال لي امشيه بقلك وعلى باب داري بدلّك حتَّى ادخل في ظلك
وارقّصك رقص السعدانْ

٣٢ قلت يابرغوت صدقة عنك عرّفني طريق فنك وكيف بقدر خلص منك
صرت في امري حيرانْ

٣٣ قال ان كان تعرف فني طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمّني
قصدي خيرك يا انسانْ

٣٤ كلّس بيتك في طيون ورشه بزوم الزيتون وخليه انضف من ماعون
وطينّهُ بتراب ونفّانْ

٣٥ وتيابك قبال ان تلبسها برغتها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّانْ

٣٦ لمَّا يضيمك شوبك عند النوم غير توبك ما احد يجي صوبك
وعلى التخت افرش ونامْ

٣٧ هذا ما قد صار فيّي عند السهرا من عشيّي وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسانْ

(تمَّت القصَّة من القس حنانيًّا منيّر)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدّة احمد باشا الجزار في عكّا حتّى هرب منهُ خوفًا على نفسهِ . وقد اتسعنا في المشرق (٢: ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة هنا . وممَّا وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبيَّة مجموعة ذات ٢٣٩ صفحة ضمَّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمَّاها «الدرّ الملتقط من كلّ بحر وسفط» وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي . وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ :

اذا نظر الرائي اليها يخالُها رياضًا بها زَهرٌ وزُهرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورها ولكنَّها تلك الخدود دفاترُ

وممَّا لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥ :

لا ريب بعد السعد لا شيءَ فاخرُ وقد قُرّحت بالدمع منَّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأرعدت فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منَّا فما لنا وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ وضاقت علينا بالفراق السرائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
أيا لوذعيًّا كان للدهر سيدًا ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمة ورضوانهُ ما ناح في الروض طائرُ
وما قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

ولهُ كذلك قولهُ يصف انواء وزوابع حدثت في ٢٥ كانون الثاني من السنة ١٢٢٨ و(١٨١٣) :

هاجت رياحٌ بالشمال تجولُ فتعمّدت ريحُ الجنوب تصولُ
وتكافحا حتّى كأنَّ هبوبها فرسانُ حربٍ اقبلت وخيولُ
وغدا الضبابُ على الهضابِ معمَّمًا قممَ الجبال كأنهُ الأكليلُ
نحرت سيوفُ البرق اعناق الغما م فسال منهُ دمهُ المطلولُ
وتراحمت فرق السحابِ وقد بدا للرعد في وسط الغيوم صهيلُ
ما زالت الأنواء يخبط جيشها حتّى علا نور الضياء افولُ

والشمس قد كُسفت بسلخ محرَّمٍ وعقيب هذه الكسف جاء سيولُ
وتعاظم النوْ الشديد وقد اتى صفرٌ بغرَّتهِ الرياحُ تدورُ
وبثالث منهُ اتى في جمعةٍ ثلجٌ يعمُّ على البطاح مهولُ
متكبكبٌ متنطّف يومان مع ليلٍ تواصل هطلهُ الموصولُ
عمَّ الجرود وكذا الوسوطسويَّةً وتعمَّمت منهُ الرُبى وسهول
لله كم من انفس هلكت وكم غصنٍ رطيبٍ قد علاهُ ذبولُ
لفرط عظمتهِ وشدَّة بردهِ دُهشت بهِ ابصارنا وعقولُ
ولازم الناسُ البيوت مخافةً يومين كلٌّ بالتقى مشغولُ
وتصايحت تلك الخلائق بالدعا لله فهو الحافظُ المسئولُ

وقد خلَّف لنا آثارًا ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٤٧٠) نيقولا الترك فانَّ طول باعهِ في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره ٠ وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والمزح ٠ وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفارٍ فكه سمَّاهُ ابا النوادر ٠ وفي كتابنا علم الادب (١ : ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعها من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء ٠ امَّا شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنُّن في النعوتِ والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلم يرشدهُ ٠ وها نحن نثبت هنا شيئًا من شعرهِ لافادة القرَّاء وتنويهاً بحسن صفاتهِ فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ :

دنا البشرُ المجيد المستطابُ واشرق في معاليهِ الشهابُ
وتمَّ لنا المنا بمزيد أمنٍ بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال :

عزيمتهُ الوفية في الوغا كم بافئدة العدا منها ارتعابُ
وكم رنَّت مسامعها ارتعاشًا اذا ما رنَّ في يدهِ القضابُ
قضاب متين همتهِ البلايا ويخشى صوت صولتهِ المصابُ

وترتعد الحوادث منهُ خوفًا ويعلو الهول منهُ الارعابُ
لهُ في المشكلات حميد رأي وحزم لم يزُغ عنهُ الصوابُ
يلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ لديهِ لانت الصمّ الصلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرَّت كما فرَّت من الليث الذبابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت غشا الضرغام وانقضّ العقابُ
يُبدِّد شملها منهُ ويفني كما يفني من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ رجاءٌ لا يُردُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديهِ وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضًا فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حرب:

سواكَ الى المعالي ليس يدعى لانَّ الله احسن فيك بِدْعا
وزانك بالمزايا يا حميدًا بهِ الدهر ارتضى واختار قنعا
اميرٌ لا امير سواه يُرجى مليك كامل خلقًا وطبعا
بشيرٍ خوَّل الدنياه بشرًا بهِ طاب الورى قلبًا وسمعا
شهابٌ اوعب الافاق نورًا على نور الثريَّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يومًا بفردٍ من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفَّيه حلّ عن انكفاف كانَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابن يحيى وابن طيّ وهل معنًى لمعنٍ بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جورًا واحيا لانتصار الحقّ شرعا

وقال مهنئًا قدس السيد اغناطيوس قطَّان بارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولًا القس موسى:

خوَّلتَ يا فخر البطاركة الهنا للشعب ثمَّ حسمتَ كلَّ نزاعِ
لمَّا ارتقيتَ لسدَّة بك شرّفتْ يا كاملِ الاوصاف والاوضاعِ
وأنرتَ يا قطَّانُ قُطانَ الديا رِ وقيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبرَ احبار البلاد وسيّدًا ابدًا لهُ عينُ الاله تراعي
وبك استضا الكرسيُّ لمَّا ان وفى حسن الدعا لله والاضراعِ
لبَّاه بالافصاح ارّخت الهدى موسى لشعب الله افضل راعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرَّاش سنة ١٨١٨ لمَّا قُتل في حلب بسعي جراسيموس الدخيل مع غيرهِ من الكاثوليك:

كم يشتكي قلبي الموجَّع كلَّما قد مضَّهُ الهمُّ الذي قد كلَّما
بل كما تراني عند ما يشتدُّ بي حرُّ الجوى اهمي المدامع عندما

ما حسرة الثكلاء ما الخنساء مذ كانت تئنُّ توجعاً وتألُّماً
تبكي نعم لكن على صخر الفلا وانا على صخر العُلى ابكي دما
وافجعتاهُ بهِ ويا اسفي على ذاك الشباب النضّ كيف تحطَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقت دمهُ الزكي وحلَّلت ما حُرِّما
حيَّاهُ من شهم شجاعٍ باسل بطل الى القتل المريع تقدَّما
بدل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا واختار مجداً سرمدياً دوَّما
لله فجعة بطرس كم فتَّتت كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت تلك الربوع واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت في مهجتي الحرَّاء جمراً مضرماً
ما حيلتي ما طاقتي فنيت وها جَلَدي وهاك الصبر مني مُعدما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرةٍ ومناقبٍ منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامةٍ وغدي المنايا مسرعاً متقحما
وانضمَّ منحازاً مع الشهداء في جنَّات خلدٍ بالسماء منعما
يا طيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمهِ يا فوز من وافى اليهِ ميمّما
فلذاك فلتُ صِلوهُ تمجيداً بما ربحي ففي دمهِ الزكي ورث السما

وهي طويلة. ومن نظمهِ ما قال يهجو بعض القوالين الذين يسرقون ابياتاً وقصائد قديمة وينسبوها لهم :

اصبح الشعر كالشعير مقاماً لا بل الشعر منهُ ارخص قيمهْ
غُرَّ من قد غدا بذا الدهر ينفي حقَّ ما فيهِ من لآل نظيمهْ
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا فيهِ بئس المؤلفات الذميمه
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا هتك ما فيهِ من عروضٍ سليمه
يا لهم من فواجرٍ بغباهم والخطا غوَّروا البحور العظيمه
نقضوا كل كاملٍ موزونٍ ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمه
افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركَّبوا اقبح الصفات الذميمهْ
قلَّ ان يُنقذ الخفيفَ فرارٌ منهمُ او تقي السريعَ هزيمه
ضعضعوا الوافر المديد وامست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلّون سرقة محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو بافتراهِ على البيوت القديمه
كم جهولٍ ابكمٌ يقلّد قساً فيهِ قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى مهذاراً فاتحاً شدقهُ كشدق بهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفَّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
رحمة الله والسلامُ عليها حيث راحت من البنين عقيمه

يدَّعون التقول فيها التبني وهي فيما ادَّعوا بهِ متهومه
عظمها في التراب ما زال يشدو يعلم الله انني مظلومه

ومن موشحاتهِ ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها:

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطرَبْلُسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤْتَنَسِ

دور

حبَّذا الفيحـاء اهنا كل نادْ والحمى المعمور والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوهـا بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرين
اهلهـا قوم لطاف ظرفا نعمَ امجـادٍ كرام الانفسِ
ما لهم عيبٌ سوى حسن الوفـا والخلوص المتنـأى عن دنسِ

دور

حيِّي يا ريحَ الصبا ذاك الكثيبْ بضواحيهِ وذيَّاك المقـامْ
وعلى كلّ محبٍ وحبيبْ اتلي عني يا صبا الف سلام
واذا جزتِ بواديه الخصيبْ بلغي شوقي لساداتي الكرام
خبّريهم انَّ جفني قد جفا بعدهم لذَّات طيب النعسِ
وفؤادي راح يشكو الكلفا من هموم حتَّى قبضِ النفس

وهو موشّح طويل. وممَّا امتاز بهِ الترك مداعباتهُ واقوالهُ الفكاهيَّة. فمن ذلك ما رويناهُ لهُ في كتابنا علم الادب (١ : ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم. ومنهـا قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة:

وشروالٍ شكا عتقًا واسى يراودني الشاق فما عتقتُ
وكم قد قـال لي بالله قِلْني وهَبْني كنت عبدًا وانطلقتُ
اما تدري باني صرتُ هرمًا وزاد عليَّ اني قـد فتقتُ
فدَعْني حيث قلَّ النفع مني وعاد من الحـال ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقليبي لأني بعمر ابيك نوح تنـد لحقتُ
ولم يبرح يجدّد كل يوم عليّ النعي حتى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني لأني في سواك قـد اعتلقتُ
فأشعرتِ العامةُ في مقالي لهُ فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تنشد فوق رأسي ليَ البشرى إذن وانا عُتِقتُ

وممَّا نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات:

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها والعزُّ قد زادها حسناً وجمَّلها
تزينت في معاني الظرفِ واكتملت بقاعةٍ ارّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزَّة الالهيَّة على لسان الامير :

اللهُ الله انت الواحدُ الاحدُ والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قدير خالقٌ ولهُ من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت الغنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ والعونُ والغوثُ والانجاء والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي اطالبهُ كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوَّلتني يا الهي خير تسمية فكنت فيك بشيرًا انت لي عضدُ
فاللبُّ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ والفكرُ والقلبُ والاحشاء والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفةٍ تصبو اليك ونار الحبّ تتّقدُ
اذ انت علَّة نفسي انت مركزها يا رب كلٍ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا ربّ امنن بعفوٍ منك لي كرمًا واغفر جنايات عبد منك يرتعد
وجُد بنعمةٍ يا رب يعقبها ذاك النعيم السعيد الثابت الوطدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزئ بهذا القليل وفيه كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُّعاة في النهضة الادبيَّة في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحقُ الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الاداب فيشفع في ضعف بعض اقسامهِ الكثير من محاسنهِ

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثارًا من فضلهم وهي تآليف ومصنفات ادبيّة غير الشعر واوَّلهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دورًا مهمًّا في تاريخ زمانهِ . ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها ثم تخرج في الاداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحاً . وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدَّة مهمَّات قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّة في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينيَّة منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في إلحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثذكسيَّة وكتاب الجامع الكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطَّ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة لكنَّهُ رذلها قبل وفاتهِ نادماً . وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

١٦٧١

وفي عهدهِ عُرف راهب من ملَّتهِ الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردهاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا. كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثذكس وأُمه كاثوليكيَّة فنشأ على دين والدهِ مدَّةً ثم اهمل نفسهُ لملاذّ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثم في طريقتهم النسكيَّة واخذ العلوم العربيَّة عن الشيخين يوسف الحرّ من علماء جباع واحمد البزري. وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وتعلَّم اللغات الاوربيَّة ثم رجع الى الشرق وانكبَّ على الإعمال الخيريَّة الَّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنَّف كتباً عديدة في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتلوني. ولهُ مصنَّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفيَّة منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصّها. ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ صاحب تاريخ الروم الملكيين (ص ٧٨-٧٩) ورُقّي الى رئاسة رهبانيَّتهِ العامَّة نحو تسع سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول من السنة ١٨٢٧

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوَّل من الآداب العربيَّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقُّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنَّفات العربيَّة

وممَّا يقال بالاجمال انَّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب مبلغ العلَّامة سلوستر دي ساسي لكنَّنا نؤجّل الكلام فيهِ الى الطور التالي لأنهُ فيهِ مات. وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنُّن معارفهِ بل كان منارًا يستضيءُ بنورهِ كلّ من اراد العلوم الشرقيَّة في فرنسة وغيرها فيقدمون باريس ليحضروا دروسهُ ويدورون في فلكهِ كالاقمار المستنيرة بهِ

وقد جاراهُ في علومهِ ولم يبلغوا شأوهُ بعض اهل وطنهِ الذين قدَّمنا ذكرهم (ص ٣٧٩) كالعلَّامة دي غيني ولنغلاي ودويرون وهربان ولكلّهم الآثار الناطقة بعلوّ هممهم وسعة معارفهم. وممَّن تتلمذوا لهُ وفازوا بالشهرة في آداب العرب المسيو امابل جوردان (A. L. Jourdain) (١٧٨٨-١٨١٨) كتب تاريخاً للعجم وانتقد تأليف ميرخند وصنَّف كتاباً في البرامكة ونقل الى الفرنسويَّة نُبذاً من تاريخ العرب

عن حروب الفرنج في بلاد الشام. لكنَّ هـذا المستشرق مات في مُقتبل العمر

ومن تلامذة دي ساسي ايضاً في هذا الطور انطون ليونارد دي شـازي (Chézy) نبغ في اللغات الشرقيَّة وكتب عدَّة مقالات في آثار العرب والعجم وغيرهم في مجلة العلماء ولهُ تاريخ العجم ومجانٍ ادبيَّة فارسيَّة ومنتخبات من كتاب عجائب المخلوقات للقزويني. توفي سنة ١٨٣١ وكان مولدهُ سنة ١٧٧٣

وممَّا يُذكر من حسن مساعي الفرنسويين في خدمـة الآداب الشرقيَّة في ذلك العهد نشأة الجمعيَّة الاسيويَّة الباريسيَّة انشأها دي ساسي ورصفاؤهُ وتلامذته سنة ١٨٢١ ثمَّ باشروا بنشر الآثار القديمة والمقالات المستحسنة في كل فنون الشرق وآدابهِ ولغاتهِ لاسيما اللغات الساميَّة منذ السنة ١٨٢٢ ومجلَّتهم تبرز كل سنة في مجلَّدين فيكون مجموع ما ظهر الى يومنا منها بالغاً ١٧٠ مجلَّدًا تحتري كنوزًا ثمينة في كل آداب الشرق

وحذا الانكليز حذو الفرنسويين في العام التالي سنة ١٨٢٣ فشكَّلوا ايضاً جمعيَّة دعوها باسم جمعيَّة بريطانية العظمى وايرلندة الاسيويَّة الملكيَّة. وكان الساعي في هـذا المشروع بعض كبار الاثريين مثل كولنبروك (Colenbrook) وجُنستون (Johnston) وستونتن (Staunton) وڤين (Wynn) وهوغتون (Haughton) فنشروا ايضاً نشرة علميَّة (Transactions) سنة ١٨٢٤ ثم وسَّعوها سنة ١٨٣٦ ودعوهـا مجلة لندن الاسيويَّة الملكيَّة لكنَّ العلماء الانكليز كانوا يوجّهون اهتمامهم خصوصاً الى الهند والى لغات الهنود وآدابهم. وكذلك نشر الالمان مجموعات شرقيَّة منها «معادن الشرق» للعلَّامة هامّر (Hammer) و «جريدة المعـارف الشرقيَّة» التي طُبعت في بونة من اعمال المانية. امَّا الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانيَّة فلم تنشأ الَّا بعد ردهة من الدهر

ومن مشاهير المستشرقين في تلك الأيام غير الفرنسويين رازموسن (Rasmussen) الدنيمركيّ (١٧٨٥—١٨٢٦) درس العلوم الشرقيَّة في باريس ثم عاد الى وطنهِ فتولَّى تدريس لغات الشرق في حاضرة بلادهِ كوبنهاغن. لهُ عدَّة تآليف في تواريخ العرب في الجاهليَّة نقلًا عن ابن قتيبة وابن نباتة والنويريّ مع جدول لتوفيق التاريخ الهجري والتاريخ المسيحيّ. ونقل قسماً من كتاب الف ليلة وليلة. ومن مصنَّفاتهِ كتاب لهُ في المعاملات التي دارت بين العرب والصقالبة في القرون الوسطى

واشتهر بين الالمان ڤلمت (J. Wilmet) الذي نشر معجماً عربيًّا لاتينيًّا ونقل

معلَّقتي لبيد (سنة ١٨١٤) وعنترة (سنة ١٨١٦) وعلّق عليهما الحواشي الواسعة والتذييلات المهمّة. ومنهم ايضاً كرل رودلف ييپر (C. R. S. Peiper) نقل قسماً كبيراً من مقامات الحريري الى اللاتينيّة وحشّى معلّقة لبيد. وكذلك عُرف بينهم كرل تيودور جوهنسن (C. T. Johannsen) الذي ترجم تاريخًا لمدينة زبيد عنوانهُ « بغية المستفيد في اخبار زبيد » ونشرهُ في بونة سنة ١٨٢٨. وهو تاريخ حسن ألّفهُ في غرة القرن العاشر للهجرة الامام سيف الاسلام ابن ذي يزن الفقيه عبد الرحمان الربيع

وكانت الدروس العربيّة قد ضعُفت قليلًا في ايطالية فانهضها احد فضلاء الأسرة السمعانيَّة زيد شمعون السمعاني الذي ولد في طرابلس ودرس في مدرسة الموارنة في رومية العظمى ثم تجوَّل مدَّة في مصر والشام لجمع المخطوطات الشرقيَّة. ولمَّا كانت السنة ١٧٨٥ عهدت اليهِ كليَّة پادوا تدريس اللغات الشرقيَّة فعلَّمها الى سنة وفاتهِ في ٧ نيسان ١٨٢١. لهُ تأليفٌ في عرب الجاهليَّة واصلهم وتاريخهم واحوالهم في مجلَّدين. ووصف الآثار الكوفيَّة في المتحف النانياني والمتحف البرجياني ومتحف السيد مينوني

وفي الوقت عينهِ اكتسب احد كهنة ايطالية المسمَّى جان برند دي روسي (١٧٤٢—١٨٣١) شهرة واسعة في المعارف الشرقية. فانهُ كان اولًا ناظرًا على متحف مدينة تورينو ثم تولَّى تدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّة پارما نحو خمسين سنة. ومن مشروعاتهِ الطيبة انشاؤهُ في پارما مطبعة شرقيَّة متقنة الادوات جميلة الحروف اصدرت عدَّة مطبوعات بديعة الطبع. وكان دي روسي حاذقًا في اللغة العبرانيَّة لهُ فيها عدَّة مصنَّفات. منها وصف مكتبة واسعة كان جهَّزها بالتآليف النادرة والمخطوطات الجليلة ومنها تأليف في الشعر العبرانيّ. وكان يحسن العلوم العربيَّة كما يدلُّ عليهِ كتابهُ « معجم اشهر ادباء وكتبة العرب » الذي طبعهُ سنة ١٨٠٧

الفصل الرابع

في الاداب العربية من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠

هو الطور الثاني من القرن التاسع عشر وهو يشمل عشرين سنة اصابت في مطاويها الآداب العربيَّة ترقيًا مذكورًا

وممَّا امتاز بهِ هذا الطور الثاني انتشار المطابع العربيَّة في الشرق · نعم انَّ الطباعة كانت سبقت هذا العهد كما بيَّنَّا الامر في المقالات المتعدّدة التي خصصناها بهذا الفنّ في اعداد المشرق من السنين الثلاث ١٩٠٠ و١٩٠١ و١٩٠٢. لكنَّ المطبوعات العربيَّة في الشرق كانت قليلةً لا تتجاوز بعض العشرات واكثرها دينيَّة كما في مطابع حلب وبيروت والشوير. فلمَّا كان القرن التاسع عشر توفَّرت الادوات الطبعيَّة في الشرق وقد مرَّ لنا ذكر مطبعة الاستانة العليَّة ومطبعة بولاق (٣: ١٧٤) وكلتاهما وسَّعت دائرة اشغالها في هذا الطور الثاني لاسيما مطبعة بولاق التي ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة (Journ. As., 1843[2], 24-61) وكان اكثرها منقولًا عن الفرنسويَّة في العلوم المستحدثة كالرياضيَّات والطبّ والجراحة وجرّ الاثقال والفنون العسكريَّة امَّا الكتب الادبيَّة فكانت يسيرةً

ومن المطابع التي جدَّدت حركتها في هذه المدَّة مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (المشرق ٣: ٥٠١) فانَّها بعد جمودها نحو مئة سنة عادت الى اعمالها بسعي مطران الروم الارثذكس بنيامين سنة ١٨٤٨. وفي السنة التالية انشأ في القدس بطريرك الروم كيرلُّس الثاني مطبعةً عُرفت بمطبعة القبر المقدَّس اليونانيَّة (المشرق ٥: ٧٤). ومعظم مطبوعات هاتين المطبعتين في السنين الاولى لانشائهما لم تتجاوز الموادّ الدينيَّة

وفي اثناء هذا الطور اعني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ استُحدثت ثلاث مطابع كبيرة اعانت على نشر آداب اللغة العربيَّة في جهات الشام: الاولى منها مطبعة الاميركان التي نُقلت سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت واستحضرت ادوات جديدة وحروفاً مشرقة فاشتغلت مذ ذاك الوقت بطبع مؤلَّفات جمَّة عدَّدنا قسماً منها في المشرق (٣: ٥٠٤). والثانية مطبعة الآباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف باشرت اعمالها سنة ١٨٤٦. والثالثة مطبعتنا الكاثوليكيَّة كان ظهورها سنة ١٨٤٨ فطبعت اولًا كتباً شتى على الحجر ثم طبعت على الحروف سنة ١٨٥٤ (المشرق ٣: ٦٠٠) وهذه المطابع لم تزل منذ نيف ونصف قرن يجاري بعضها بعضاً في ميدان الآداب كخيل السباق ولا غرو فان بواسطتها تعدَّدت المنشورات وقرب جناها على ايدي الاحداث واقبل على مطالعتها القوم

ومن الاسباب التي ساعدت ايضاً في تلك المدَّة على اتّساع المعارف الادبيَّة وارتقاء اللغة العربيَّة ما أُنشئ في الشرق من المدارس بهمَّة اصحاب الخير. فما عدا

المعاهد التي سبق لنا ذكرها (ص ٢٤٥) كعين ورقة وعين تراز والشرفة ظهرت مدارس جديدة غايتها ترقية العلوم كان الفضل في انشائها الى المرسلين اللاتينيين. واوَّل هذه المدارس التي فتحت لتثقيف الوطنيين بالآداب العصريَّة مدرسة عين طورا باشرت بالتعليم سنة ١٨٣٤ وقد سبق المشرق (٣: ٥٤٨ الخ) فاتَّسع في تاريخ هذه المدرسة الشهيرة ومن تخرَّج فيها من الادباء فلا حاجة الى التكرار

ثم أُنشئت بعد تسع سنوات (١٨٤٣) مدرسة للآباء اليسوعيين في كسروان انشأها الاب مبارك بلانشه في غزير في الدار التي كان شيَّدها الامير حسن يوسف شهاب لسكناهُ. وهذه المدرسة بقيت عامرةً الى سنة ١٨٧٤ حيث نُقلت الى بيروت فقامت عوضًا عنها مدرسة القديس يوسف الكليَّة. ومن مدرسة غزير خرج رجال افاضل لا يُحصى عددهم منهم بطاركة اجلاء واساقفة مبجَّلون وكهنة غيورون ووجوه وأُدباء وكتبة كانوا كلهم ولا يزال كثيرون منهم الى يومنا سندًا لكل مشروع خيري ولكل مسعًى صالح

وكما اهتمَّ المرسلون بفتح المدارس للذكور لم يسهوا عن تربية الاناث بمساعيهم قدمت راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٥ ثم راهبات المحبَّة سنة ١٨٤٧ واخذنَ يتفانَيْنَ في تهذيب الفتَيات في الشام وفلسطين. وبعد سنين قليلة انشأ الآباء اليسوعيُّون سنة ١٨٥٣ جمعيَّة الراهبات المريمات ثم جمعيَّة قلب يسوع والفتتان حازتا رضى الاساقفة والاهلين وخدمتا الوطن احسن خدمة بتهذيب البنات ثم اجتمعتا باخوية واحدة عُرفت باسم راهبات قلبي يسوع ومريم يشهد لهنَّ الجميع في يومنا بالغيرة والصلاح وحسن التربية للشبيبة وخصوصًا في القرى المهملة. وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في هذه البلاد وتولَّين ادارة مدارس الاناث من كلّ طبقات الاهلين في بيروت وعكا وحيفا والناصرة وشفا عمرو فاحرزنَ لهنَّ ثقة الجمهور بفضلهنَّ

امَّا المدارس الوطنيَّة فانَّها تعزَّزت ايضًا في هذا الطور وزادت نموًّا لاسيما مدرسة عين ورقة التي اكسبها رئيساها الاوَّلان المطران خير الله اسطفان والمطران يوسف رزق الجزيني رونقًا عظيمًا ماديًّا وادبيًّا. ومن اثمار هذه المدرسة حينئذٍ انشاء جمعيَّة مرسلين انجيليين انتسبوا الى مار يوحنَّا الانجيليّ وخدموا النفوس باعمال الرسالة نحو عشرين سنة ثم خلفتهم جمعيَّة مرسلي الكريم التي لا تزال حتى يومنا تفلح كرم الرب بنشاط وغيرة

وكذلك تقدَّمت مدرستان أُخريان للطائفة المارونيَّة كان سبق تأسيسهما في ايَّام السيّد البطريرك يوحنَّا الحلو نريد مدرسة مار يوحنَّا مارون كفرحي ومدرسة مار مارون الروميَّة . فكان الساعي بانشاء الأولى المطران جرمانوس ثابت في السنة ١٨١١ خصَّها بتهذيب بعض احداث بلاد جبيل والبترون وجبَّة بشراي ثم اتَّسعت بعد ذلك في ايَّام الطيّب الذكر المطران يوسف فريفر الذي صرف المجهود في تحسينها وقد حذا حذوهُ رئيسها الحالي المنسنيور بطرس ارسانيوس الذي لا يزال مهتمًّا بشؤونها ونجاحها

امَّا المدرسة الروميَّة فكان انشاؤها بعد ذلك سنة ١٨١٧ وكانت هذه المدرسة ديرًا فامر البطريرك يوحنَّا الحلو بتحويلها الى مدرسة وصادق على امرهِ آباء مجمع اللويزة في السنة التالية . ولعائلة بيت الصفير اوقاف وحقوق على مدرسة الروميَّة التي اخرجت عددًا وافرًا من افاضل الشبَّان المرشَّحين للكهنوت

ولمَّا قام السيد يوسف حبيش بطريركًا على الطائفة المارونيَّة وجَّه عنايته الى فتح المدارس لابناء رعاياهُ ففُتحت اولًا مدرسة مار يوحنا مارون في صربا ١٨٢٧ وكان الساعي بذلك المطران يوحنا العضم . ثم فُتحت مدرسة أُخرى في عرمون وكان هناك لبيت آصاف دير للراهبات فحوَّلوهُ بعد امر السيد البطريرك الى مدرسة عموميَّة لتعليم شبَّان الطائفة المارونية العلوم الاكليريكيَّة وصار لهذه المدرسة نجاحٌ عظيم خرج منها اولو فضل ممَّن تفتخر بهم ملَّتهم حتى اليوم كالسادة الاجلَّاء المطران يوسف النجم والمطران اسطفان عوَّاد والمطران بولس عوَّاد والمطران يوسف مسعد والخوارنة العالمين العاملين يوسف العلم وكيل سيادة مطران بيروت حالًا ويوحنا رعد الغزيري الشاعر والخوري عبد الله العقيقي وغيرهم

وبعد ذلك بسنتين (١٨٣٢) سعى البطريرك المومأ اليه بتحويل دير مار سركيس وباخوس في ريفون الى مدرسة لابناء الطائفة كمدرسة مار عبدا فلبَّى دعوته ولاة الدير من بيت مبارك بكل طيب قلب وافرغ رئيس الدير القسّ فرنسيس مبارك كنانة الجهد في تحقيق تلك الامانيّ فلم تذهب مساعيهِ ادراج الرياح كما ترى في تاريخ هذا الدير الذي سبق بتسطير اخباره حضرة الاب الابراهيم حرفوش في المشرق (٨ : ٦٧ و٣٤٧ و٧٥٣)

وفي هذا الوقت ايضًا كان المرسلون الاميركان لا يألون جهدًا في فتح المدارس

اخصُّها في بيروت واعبَيه فنجحوا فيها بعض النجاح لولا أنهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكيّ ليبثُّوا في قلوب الاحداث زوان التساهل الديني

وكانت الدروس العربية في كل هذه المدارس راقيةً فانَّ منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم وخصوصاً بين النصارى كما نبيّن ذلك

امّا المدارس خارجاً عن الشام فكانت في الغالب مقصورة على مبادئ القراءة والكتابة واصول الحساب واللغة

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

نقدّم عليهم الشيخ حسن بن محمّد العطَّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطَّارًا استخدم ابنهُ اوَّلًا في شؤونهِ ثم راى منه رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبَّان وغيرهما حتى نال منها قسماً كبيرًا. وفي ايَّامهِ جاء الفرنسويُّون الى مصر فاتَّصل بأُناس منهم فاستفاد منهم الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم اللغة العربيَّة. ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدَّة في دمشق وممَّا نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق :

بوادي دمشق الشام جُزْ بي اخا البسط	وعرّجْ على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يُبكي امرء القيس حوملَا	ولا منزلًا اودى بمُنعرَج السقط
فانَّ على باب السلام من البها	ملابسَ حسنٍ قد حُفظنَ من العطّ
هنالك تلقى ما يروقك منظرًا	ويُسليك عن الاخدان والصحب والرهط
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزَّها	تميلُ سكارى وهي تخطر في مِرطِ
كساها الحيا اثواب خطر فدُثّرت	بنور شعاع الشمس والزهر كالقُرْطِ

وتجوَّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى مصر فاقرَّ له علماؤها بالسبق فتولّى التدريس في الازهر وقُلِّد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمَّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبَّرها احسن تدبيرٍ الى سنة وفاتهِ في آخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) وكان محمَّد علي باشا خديوي مصر يجلُّهُ ويكرمهُ. وقد خلف عدَّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطبّ. ولهُ كتاب في الانشاء والمراسلات تكرَّر

طبعهُ في مصر . وكان هذا الشيخ عالمًا بالفلكيّات لهُ في ذلك رسالة في كيفيَّة العمل بالإسطرلاب والرُّبعَين المقنطر والمجيَّب والبسائط . وكان يُحسن عمل المزاول الليليَّة والنهارية . وقد اشتهر ايضًا الشيخ العطَّار بفنون الادب والشعر . وممَّا يُروى عنهُ انهُ لمَّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيَّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشَّاب فكانا يبيتان معًا ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنّ من الفنون الادبيَّة والتواريخ والمحاضرات واستمرَّت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودّتهما الى، ان توفي الخشَّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ . ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانه فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي(٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمَّد الدسوقيّ المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥م)

احاديث دهرٍ قد أَلمَّ فاوجعا وحلَّ بنادي جمعنا فتصدَّعا
فقد حال فينا البَين اعظم صولةٍ فلم يُخلِ من وقع المصيبة موضعا
وجاءَت حطوبُ الدهر تترى فكلَّما مضى حادث يُعقبهُ آخر [illegible]

وهي طويلة قال في ختامها:

سعى في اكتساب الحمد طول حياتهِ ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى
ولم تُلههِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ عن العلم كيما ان تَغُرَّ وتَخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى فما أن لها يا صاح امس مضيّعا
فقدناهُ لكن نفعهُ الدهرَ دائمٌ وما مات من ابقى علومًا لمن وعى
فجوزيَ بالحُسنى وتُوّج بالرضا وقوبل بالاكرام ممَّن لهُ دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامة اللبناني فقال فيهِ لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلّ نادرةٍ حتَّى رايتك يا سؤْلي ويا أربي
والله ما سمعتْ اذني بما نظرت لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

وقام بعد الحسن العطار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلَّد مشيخة الازهر اربع سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفًا بسلفهِ:

ولئن مضى حسَنُ العلوم لربهِ فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً وديانةً من ذا الذي ساواك من

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطار وهو الشيخ حسن قويدر. ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل علي قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن. فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصاً عن الشيخ حسن العطار. ولم يزل يتقدَّم في العلوم حتَّى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطول على منظومة استاذهِ حسن العطار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومةُ الفاضل العطَّار قد عبقت منها القلوبُ برياً نكهةِ عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحوِ يانعةً لما جنى الفكرُ منها هذه الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها والليلُ داجٍ أرانا وجهُها قمرهْ
قالوا جواهرُ لفظٍ قلت لا عجبٌ بحر البلاغة قد اهدى لنا دُررهْ

ومن تآليفهِ ايضاً كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة . ومنها كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلَّثات قطرب. وهذا التاليف طُبع في مصر وقد نقله الى الايطاليَّة المستشرق الاديب المرحوم اريك فيتُّو قنصل ايطالية في بيروت سابقاً وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة. ومما يروى من شعره قولهُ :

يا طالب النصح خذ مني محبَّرةً تُلقى اليها على الرغم المقاليدُ
عروسةً من بنات الفكر قد كُسيت ملاحةً ولها في الخد توريدُ
كأَنها وهي بالامثال ناطقةٌ طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لغط ومن غلطٍ كل البلاء بهذا العضو مرصودُ
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ فالخِل في مثل هذا العصر مفقودُ
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت فالشر طبع لهم والخير تقليدُ

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ وقيل انهُ في مرضهِ الاخير وضع تاريخ وفاته بهذه العبارة « رحمة الله على حسن قويدر » مجموع حروفها سنة وفاتهِ .

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمَّد امين بن عمر بن عبد العزيز كان مولدهُ بدمشق سنة ١١٩٨ هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برَّز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنَّف في الفقه والتصوُّف نحو خمسين كتاباً

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد اغا ابن عبد الرزّاق اغا الجندي ولد في حمص من أسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشأ بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانهِ وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر. وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصاً في الموشحات والمواليات والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليهِ الغزليات. وكان سيّال القلم طيّب القريحة لم يمضِ عليه يوم خالياً من نظم او نثر يحرّر في يوم ما يعجز عنهُ غيرهُ في شهر. وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتغنّون باقوالهِ. وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) ودُفن قريباً من الجامع الخالديّ. ولهُ ديوان طبع قسماً منهُ بالمطبعة السليميّة الاديب سليم المدوّر سنة ١٨٧٠ ثم طبعه سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميّة واضافوا اليهِ قسماً آخر لم يُنشر بالطبع. ومنذ عهد قريب تولّى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمّد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف. وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة منهُ تدلُّ على اساليب ناظمهِ فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيه الربيع في ربوة دمشق:

يا حبّذا الربوة من دمشقِ ... بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم أطلعت بها يدُ الربيعِ ... من كل معنًى زائدٍ بديعِ
وفتّح الوردُ الكفوف اذ دعا ... داعي الصباح للهنا ورجِعا
وفككت انامل النسيمِ ... ازرارَ زهر الرَّند والشميمِ
وسقطت خواتم الازهارِ ... من فنن الاغصان كالدراري
والتفَّ سيفُ البرق في اوراقِ ... ما شام خيل الريح في سباقِ
ما بكتِ السماءُ بالغمامِ ... الّا وصار الزهرُ في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا ومخمساً لابيات عرضها عليهِ عبد الله بك العظم في خصام النرجس والورد:

قال لي النرجس حرّض ... لقتال الورد وادحض
قلتُ هذا قول مبغض ... ايها النرجسُ أعرض

لم تنل الافضليّه

عُد الى الحق سريعا ... ولقولي كن سميعا
وأنثنِ للورد مطيعا ... وسل الزهر جميعا

عن معانيك الرديّه

قد جهلت الامر قدما وادَّعيت الحسن ظلما
فبمن اولاك حلما لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّه
كنت قبل العجب آمنْ وبظلّ الروض كامنْ
فاذا حرَّكت ساكنْ انت ربُّ السيفْ لكن
شوكة الورد قويَّهْ

ومن قوله في هجو قوم:

وقوم غضَّ طرفُ الدهر عنهم فآذَوا كلَّ ذي عرض وجهادوا
وفي ظلمات ظلم الحق ساروا فسادوا عند ما ظهر الفسادُ
وان قالوا سنرجع حيث كنَّا مخافة ان تذمَّهم العبادُ
وان طلبوا رجوعهم عنادًا فما صدقوا ولو رُدُّوا لعادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة:

... همام شامخ العز ضيغمٌ غياث مغيث من ظلوم اذا اعتدى
يلوذُ بهِ الجاني فيبلغ مأمنًا ... كان اهل الخافقين لهُ عدى
ومن أمَّهُ من فاقة عاد مثريًا ويرجع بعد الذل والفقر مسعدا
اذا الدهر يومًا جارَ في حكمهِ بنا على الدهر ارسلناهُ سهمًا مسدَّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى مع الحزم والرأي السديد مع الهدى
فاضحى لارباب الحوائج كعبةً وكهفًا لمن ياوي اليهِ وموردا
لعمرك هذا المجدُ والحسبُ الذي سما فوق اركان المجرَّة مصعدا
ستغدو لنا نعزّ دارًا وللورى بحضرتهِ باب المرادِ ومقصدا
ويبقى لسان الحال فيهِ مؤرخًا لك الحمد يا ذا الجود لازال سرمدا (١٢٦٢)

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخًا وفاة السيّد نجل الكيلاني:

في جنَّة الفردوس حلَّ كأنهُ بدرٌ ولكن نورهُ لا يُحجَبُ
قد صاد كلَّ المكرمات وكيف لا يصطادها وابوهُ باز اشهبُ
بوفاتهِ التاريخ ابا قائلًا هذا النجيب وليس منهُ انجبُ (١٢٥٦)

وقد اشتهر في هذا الطور الثاني غير الذين ذكرناهم من أدباء المسلمين لاسيما في العراق وحلب الّا انَّ اخبارهم قليلة متضعضعة ولسنَّ بعض القرّاء يرشدونا اليها فيحيوا ذكر اولئك الافاضل الذين درست آثارهم مع قرب عهدهم منَّا

امَّا ادباء النصارى الذين عُرفوا في تلك المدَّة بخدمة الآداب العربيَّة فها نحن نذكر

من اتّصلت بهِ معرفتنا القاصرة مع الرجاء بان يزيدنا اهل الفضل فيهم علماً ويسدُّوا ما يجدون من الخلل

استحقَّ الذكر بآدابهِ وشعرهِ في الطور الذي نحن في صددهِ نصرالله الطرابلسي وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٧٠ وكان من اسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك. ولما انتقل ابوه الى طرابلس عُرِف بالطرابلسي وكان عريقاً بالدين تحمّل في سبيل ايمانهِ محناً عديدة فنشأ ابنهُ على مثالهِ تقيّاً ورعاً وكان مع ذلك متوقد الذهن محبّاً للعلوم ولدرس اللغات فتعلم منها التركيّة والفرنسويّة وكان مبرزاً في الآداب العربيّة مطّلعاً على فنونها يُحسن فيها الكتابة وينظم الشعر الحسن . وقد ابقى من نظمهِ مآثر عديدة اكثرها متفرق لو جُمعت حصل منها ديوان كامل. وسكن نصرالله الشهباء زمناً طويلاً ومدح وجوه اهلها من مسلمين ونصارى لاسيما نقيبها محمَّد الجابري وقد أثبت المشرق (٣: ٤٠٠) قصيدتهُ فيهِ ومدح كذلك الشيخ هاشم افندي الكلّاسي فقال يخاطبهُ:

لمَّا سمعتُ مسلسلًا عن سادةٍ انَّ الفصاحة كلها في هاشمِ
يمَّمتُ ناديهُ والقيت العصا ورجوتُ يقبلني ولو كالخادمِ
ان جاد لي بالارتضا فبفضلهِ او لم يجُدْ فلسوءِ حظ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ جواباً لطيفاً فكتب اليه:

نسيمُ لطفك صابني بألوكةٍ صيبَ المحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثلهِ اهلًا وسهلًا مرحباً بمسامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

وكذلك كان الطرابلسي يتردد على عبد الله الدلّال [١] ويجتمع عندهُ بادباء زمانهِ وقد قال في احدهم فتح الله المرّاش قصيدةً يشكر لهُ جميل اياديه ويهنئه بعقد زواجه سنة ١٨٢١ هذا مطلعها:

يا للهوى ما للعذول ومالي انا قد رضيتُ بكافةِ الاحوالِ

ومنها في المدح:

الندبُ عبد الله فخر اوانهِ نسل الاماجد من بني الدلّالِ
فهو الذي يشري الثناء بمالهِ ويزيّن الاقوال بالافعالِ
وهو الذي لم يخلُ قطُّ زمانهُ من غوث ملهوف وبذلِ نوالِ

---

١) اطلب السحر الحلال في شعر الدلّال للاديب قسطاكي افندي الحمصي (ص ٢-٣)

وختمها بهذا التاريخ:

واسلم بتاريخي ودمتَ بمنّهِ متمتعًا باللطف والاقبالِ

وممَّن مدحهم في حلب القنصل الفرنسوي يوسف لويس روسّو وكان محبًّا للآداب الشرقيَّة (اطلب المشرق ٣: ٣٩٨ و ٤٠٠). وبايعازهِ نظم الطرابلسي تهنئة لنابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية سنة ١٨١١ فقال قصيدتهُ التي اوَّلها (المشرق ٣: ٣٩٩):

ورد البشيرُ فسرَّتِ الاقطارُ وترنمت في دوحها الاطيارُ

ومن حسن نظمهِ اياتهُ في شهداء الكثلكة في حلب سنة ١٨١٨ (المشرق ٣: ٤٠٢ و ١٠: ٦٦٤) فقال:

دعِ العين مني تذرف الدمع عَنْدما فحقَّ لهذا الخطب ان تُسكب الدما

وفيها ابيات صادرة عن قلب طافح حبًّا متفطر حزنًا. وفي السنة ١٨٢٨ تحامل على الطرابلسي اعداؤهُ فاحبَّ الخروج من وطنهِ ورحل الى مصر فلقي الحظوى عند بني البحري من اعيان طائفتهِ وكانوا متقدّمين في الدواوين فخدمهم وتقرب بواسطتهم في المناصب وقد مرَّت لنا اقوالهُ فيهم (المشرق ٣: ٤٠٣ — ٤٠٥) وتوصل بهم الى محمّد علي باشا خديوي مصر فمدحهُ ونال من احسانهِ. وكانت وفاة الطرابلسي نحو السنة ١٨٤٠ وشعرهُ مزجم بليغ المعاني كثير التفنن اوردنا منهُ ما اوقفنا عليهِ بعض ادباء الشهباء في اغراض شتى (المشرق ٣: ٤٠٦ — ٤٠٨) وممَّا وجدنا لهُ بعد ذلك مراسلات شعر ونثر دارت بينهُ وبين شاعر عصره بطرس كرامة فقال هذا في مدحهِ:

نشأت بنصر الله روحُ صبابةٍ وأبى الفؤادُ لغيرها ان يذكرا

فرعٌ لفتح الله ابنع مخصبًا بحايقة الآداب شبَّ واثمرا

فاليك يعزى الفضل يا من لاح لي منهُ الودادُ ولن يراني مبصرا

قربًا لدارٍ كنتَ فيها وحبّذا رَبْع الشهباء نصر الله فيها قد سرى

فاجابهُ نصر الله الطرابلسيّ من قصيدة ذكر فيها طرابلس بلدهُ وكان بطرس كرامة حينئذ ساكنًا فيها:

فسقى طرابلس السحابُ وليهُ سحًّا وهتَّانًا يُرى متفجّرا

بلدٌ كأنَّ الدهر عاندني بها فاستاق اهلي قبل أن اطأ الثرى

لو فاخرت كل البلاد بانَّ فيها بطرسًا لكفى بذلك مفخرا

الاوحد الندب الفريد الامجدُ السندس الجيد الالمعي الأنورا

الى ان ختمها بقولهِ :

واسلم ودم ببهابةٍ وكرامةٍ يا موردًا لم ارضَ عنهُ مصدرا
ما سارتِ الركبان تقطع فدفدًا من عاشق ولهانَ تحدي الاسطرا

ولهُ ايضًا من قصيدة اخرى في مدحهِ وذكر بعض رسائلهِ :

شرَّفتنا بكتاب منك قد بزغت انوارهُ فهُدينا واقتبناها
رسالة أُرسلت للقلب تحفظهُ فمالهُ ضاع مني عند مسراها
فيا لها دررًا من يمّكم قذفت سفن العلم فبأسم الله مجراها
وصرتُ ألثمها شوقًا وانشدها توقًا لمن ببديع النظم وشّاها
ان اسعد الله عيني ساعةً ورأت محياكمُ وجلت بالنور مرآها
غفرتُ للدهر ما ابداهُ من نكدٍ ونلت من واردات العمر اهناها

وكتب لهُ ايضًا :

لقد حكم الزمان عليَّ حتَّى اراني في هواك كما تراني
وان بعدت ديارك عن دياري فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد امكنت حبك من فؤادي مكانًا ليس يعرفهُ جناني
كانك قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمرُّ على لساني

ونلحق هنا بذكر نصرالله الطرابلسيّ ترجمة صديقهِ بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربيَّة دورًا مهمًّا قبل اواسط القرن التاسع عشر . وهو بطرس بن ابراهيم كرامة الحمصيّ من اعيان حمص وكان اهلهُ من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهم متحمّسون فيهِ . وكان عمُّهُ ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم انتقل الى الرهبنة المخلّصية . وفي سنة ١٧٦٣ سُقّف على قلاية دمشق فعُرف بمطران دمشق وقاسى محنًا عديدة من قبل المتفصلين الى أن توفي سنة ١٧٩٥ في دير المخلص . وكان عالمًا غيورًا على ايمانهِ ولهُ مصنَّفات دينيَّة . امَّا بطرس كرامة ابن اخيهِ فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدَّب ولهُ في مديح اعيانها اقوال حسنة كقولهِ في الشيخ عبد الرحمان الكزبري :

يا حبَّذا حمص التي ضاءت باعظم نيّرِ
قد اشرق البدرُ بها وبشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلًا في الشيخ امين الجندي الذي مرَّ لنا ذكرهُ :

لله نمَّ مهذبٍ باهت بهِ حمصٌ ونور الفضل عنهُ يبينُ
لا غرو اذ فاق البديعَ انهُ شهم على درر البديع امينُ

ثم قويت شوكة اعداء الملكيين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الاذى فاضطرّ بطرس ان يفارق حمص مع والدهِ متوجهَين الى عكّار وقصد بطرس علي باشا الاسعد حاكم تلك البلاد وامتدحهُ بالقصائد الحسنة فاجازهُ ورغب فيهِ لبراعتهِ ودرايتهِ وحسن ادبهِ وخطّهِ فاستخدمهُ في ديوانهِ ورفع منزلتهُ ورتّب لهُ ما يقوم بكفايتهِ فاقام في خدمتهِ نحو خمس سنوات ثم ذهب الى لبنان واستوطن الجبل واتّصل بطرس بنقولا الترك شاعر الامير بشير فقرّبهُ من مولاه سنة ١٨١٧ وحظي بطرس عند الامير الشهابي لما رآهُ فيهِ من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفتهِ للغة التركيّة فعهد اليهِ بتهذيب ولدهِ الامير امين واتّخذهُ كاتبًا للامور الاجنبيَّة لجودة انشائهِ . ثم جعلهُ الامير بشير معتمـدًا من قبلهِ في التوجّه الى عكّا فقام باوامر سيّدهِ احسن قيام وحصّل عندهُ مالًا كثيرًا وجاهًا وافرًا وكان الامير يحبهُ ويثق بهِ في جميع اعمـالهِ ويعتمد عليهِ في مهمّات اشغالهِ ولا ينهي امرًا الّا برأيهِ . ثم سلّمهُ الامير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين استحسنها الشهابيّ وامر باجرائها ثم رفع منزلتهُ وعملهُ كتخداه فصـارت امور لبنان كلّها في يدهِ يدبّرها احسن تدبير فوقعت هيبتهُ في القلوب وعظمت حرمتهُ وانتشرت شهرتهُ وعلت كلمتهُ وابتنى دارًا كبيرة في دير القمر واقتنى املاكًا واسعة وكان قد سافر بمعيَّة الامير بشير الى الديار المصريّة واجتمع بفضلائهـا وعلمائها ولهُ معهم مفاوضات ومباحثات يطول شرحهـا . ثم رجع الى بيت الدين وبقي في خدمة الامير بشير الى ان خرج الامير بشير من بلاد سوريّة فسافر معهُ الى مالطـة ثم الى الاستانة العليَّة سنة ١٨٤٠ ونال من الالتفات وعلوّ المقام لدى رجال الدولة ما لم يزل مشهورًا . ثم عُين ترجمانًا للمابين الهمايونيّ فاظهر من البراعة ما اكسبهُ ثقة الجميـع . وبقي في تتميم اعباء وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ في الاستانة العليَّة سنة ١٨٥١ . ولهُ مع اكابر رجالهـا مساجلات لطيفة وكان بليغ الكلام . وقد ارّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي فقال :

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ واشهر من زُهَيرِ
فقل يا ابن الكرامة قرَّ عينًا لبطرسَ ارّخوهُ ختام خيرِ

ولبطرس كرامة مكاتبات ورسائل غير مطبوعة . ولهُ ديوان شعر كبير طبعـهُ الاديب سليم بك ناصيف سنة ١٨٩٨ في المطبعـة الادبية وقد وجدنا لهذا الشاعر

آثاراً اخرى في بيت حفيدهِ الفاضل . منها مساجلاتهُ مع ادباء الاستانة ومنظوماتهُ في العاصمة وبعضها لم يُطبع في ديوانهِ وشعر بطرس كرامة اضبط واطبع من شعر آل عصرهِ تراهُ يتصرَّف في المعاني ويخرجها على ابدع طريقة فمن قولهِ في الوصف ذكرهُ لباقة زهر اهداهُ اياها الامير بشير:

وباقة زهرٍ من مليك مُنحتها معطّرة الارواح مثل ثنائهِ
فابيضُها يحكي جميع خصالهِ واصفرها يحكي نضار عطائهِ
وازرقها عين نشاهد فضلهُ واحمرها يحكي دماء عدائهِ

ولهُ تخميس وتشطير على هذه الابيات . ومما لم نجدهُ في ديوانهِ قصيدة قالها مستغفراً عما فرط منهُ ومناقشاً اهل المادة في آرائهم الفاسدة وسماها « درَّة القريض وشفاء المريض » : اوَّلها :

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابلهُ وبانت لبانات الهوى وبلابلهُ

وهي طويلة نختار منها احسن ابياتها :

ألا اندب زماناً قد صرفتَ بكررهُ خلالاً وقد مرّت سفاهاً اصائلهْ
فكم خضتَ بحر المعصيات مفاخراً وقصَّرت رجلاً عن ثواب تقابلهْ
وكم اسمعتْك الحادثاتُ نصائحاً فلم تنقطع عن سوء فعلٍ تواصلهْ
فدع عنك ذكر الغانيات فكم بهِ هوى فاضلٌ كانت تضيءُ فضائلهْ
وخلِّ الاغاني فالاغاني حبالة يُصادُ بها سامي الذكاء وخاملهْ
ولا تشرب الصهبا فانَّ بشربها سواءٌ يُرى قسُّ البيانِ وباقلهْ
فيا شقوتي ان لم تأجج ندامةً لظى كبدي والطَّرف يهتنُ وابلهْ
ويا لهفتي أن لا اتوب بتوبة أُغاث بها من ويل ذنب اُنازله
فيا حيُّ يا قيوم يا غافر الخطا لمستغفر يا من يرى الرشدَ سائله
ويا من وعدت التائبين برحمة وعفوٍ وان ذنبٌ تطاول طائله
ألا اغفر لعبد اثخنتهُ مآثم ومن جملة الاوزار قد كلَّ كاهله
فان كان ذنبي قد تعاظم جرمهُ فعفوك بحرٌ ليس يُدركُ ساحله
فيا ويح قوم قد عصوك واركنوا الى الكفر فانصبَّت عليهم غوائله
فان اثبتوا فعل الطباعِ ببعضها فبداء هذا الفعل من هو فاعله
ويلزم من هذا دوامُ تسلسل وهذا محال لا تصحُّ مسائله
فمن سيَّر الاقمار في درجاتها على دورانٍ لا تخلُّ منازله
فان كان جذباً مثلما قدَّروا فمن ترى اوجد الجذب الذي هو كامله
فيا ملحداً امسى على الله منكراً فانَّ وجود الله صحَّت دلائله
فمن ابدع الكون البديع نظامهُ ومن ذا على ترتيبه الدهر شامله

فان قلتَ انَّ الكائنات عدُّها فقد لزم الدورُ الذي شاع باطلُهُ
فويلك من أنشا العناصر اوَّلًا وصيَّرها في مركز لا يزايلُهُ
وان قلت اجزاء قديمٌ وجودها تحركها بالطبع كانت تعامله
فوافقَ وقتًا انها قد تألفت على هيأة منها نشا الكون كامله
فما هذه الاجزاء هل بارادة تحرّكها ام جاء بالقسر عامله
فان كان قسرًا فهي تحتاج موجدًا يقيم بها فعلًا سريًّا تفاعله
وان كان عن قصدٍ انى فهي ربكم تقاسمهُ عالي الوجود وسائله
فما قلتموه باطلٌ وكلامكم محالٌ ومهزول النتيجة حاصله
فيا واحدًا يا قادرًا يا مهيمنًا تنزَّه عن ضدٍ وندٍ يماثله
فهبنيَ عفوًا من لدنك ومنَّةً وحسن ختام ارتجيهِ وآملُهْ

ولهُ تاريخ لوفاة الامير بشير حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك اثبتناهُ في المشرق (٧ : ١٧٦٣) . ومما روينا ايضًا لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢ : ١١١٦ — ١١١٧) مناظرة فكاهيَّة بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم :

قُمْ للهناء فنسمة السحرْ جاءت بريًّا عاطرِ الزَّهَرِ
واغنم منَ العيش الهنيّ طربًا عين السرور لمشرقِ الاثرِ
وارشف كؤوس الصفو من زمنٍ راقت مشاربهُ من الكَدَرِ
ودَعِ النسيبَ وكن على غزلٍ بمديح بدر السادة الغُرَرِ
مكسيموس الحبر المقدس من اضحى طهور القول والفكرِ
البطريرك المرتقي شرفًا بفضائلٍ يشرقن كالقمرِ
ملأت قداستهُ الورى منحًا منقودةً بالسمع والبصرِ
مولى تفرَّد في الفضائل في هذا الزمان وسالفِ العُصُرِ
راعٍ يقوم على الحفيظة في جدٍّ جديدٍ غير مندثرِ
ولكم بتصنيفٍ ومعتكفٍ افنى الليالي الدُّهم بالسهرِ
ما زال مجتهدًا بنيل منىً ولغير نيل العزّ لم يسرِ
يستلُّ من فمهِ التقى حسامًا فتَّاكةً بالبيض والسمرِ
باتت على أمنٍ رعيتهُ ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقرٍ وذي نعمٍ بذلًا ورشدًا غير منحصرِ
بشرى لنا آل الكنيسة قد نلنا بهِ مجدًا على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهرًا شرقًا وغربًا ايَّ مشتهرِ

اوضحت من نهج الهدى غُرَرًا للناس كانت قبل في غَرَرِ
ورفعت شعبًا كان منخفضًا ما بين ناب الليثِ والظفرِ
وظفرتَ بالنعم السنية من ملك الملوك الواهب الدُّررِ
فاسلَمْ لنا مولًى وخير اب يرعى البنين بصادقِ النظرِ
والى مقامك ان نؤرخهُ جاء الهنا بعلامة الظفرِ

وممَّا جاء لهُ في التهاني قولهُ في ولادة الامير عبد الله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٨٣٥ (لم تذكر في ديوانهِ):

يا سيد العدل والاحسان زد شرفًا قد زادك اللهُ انعامًا وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ للسعد عزًّا والعلياء توليدا
فيا لهُ من كريم ضاء طالعهُ واشرق المجد لمَّا حلَّ مولودا
لهُ السيادةُ من جدّ سما واب اضحت يداهُ تفيضُ البذل والجودا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الايَّام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيبُ العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانهِ):

للصيد فضلٌ في ثمان فوائدٍ من بعدها عشرٌ تشيد اساسَهْ
سلوان همٍّ ثم ترك بطالةٍ وفصاحة التعبير ثمَّ سياسَهْ
ونزاهة ولذاذةٌ ونشاطةٌ ويقاظةٌ ونباهةٌ وحماسَهْ
ورياضةُ الاجسام ثمَّ طلاقة م الابصار ثمَّ حلاوةٌ وفراسَهْ
وصيانةٌ ثمَّ اكتساب معيشةٍ والعلم بالطرقاتِ ثمَّ رئاسَهْ

وممَّا لم نجدهُ ايضًا في ديوانهِ قولهُ في صقر كان فُقد ثم رجع:

تلالا البِشْرُ وانجلت الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعَمَ المواهبْ
وجاء الصَّقرُ المفقود منَّا يرفرف بالغنائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودتهِ قلوبًا وبتنا في الحديث لهُ نعاتبْ
وانشدناهُ ما لك غبتَ عنَّا لعلَّك كنت انت منَّا هاربْ
فردَّ مجاوبًا ردًّا جميلًا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا ان اخون العهد يومًا ولي مولًى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شعرتُ بنعم صقرٍ اعزَّ الآلِ منّي والاقاربْ
أتى ضيفًا جديدًا في حمانا نزيلًا والنزيلُ قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئنَّ القلب طائبْ

لكنني قد قضيتُ بذا هموماً ◆ وكم قاسيتُ فيهِ من متاعب
وكم شاهدتُ اهوالًا ثقالًا ◆ واحوالًا رأيتُ بها العجائب
وكم كابدتُ في سفري عناء ◆ وكم فيهِ دهتني من مصائب
وكم لي وقعةٌ مع كلّ حرٍ ◆ وكم لاقيت شاهيناً محارب
وكم صادفت فيهِ من عُقابٍ ◆ شديد البأس قنّاصٍ معاقب
وكم من كاسرٍ من كل طيرٍ ◆ تعمّدني وجاء عليَّ واثب
هناكَ أبنت بطشي واقتداري ◆ وابديتُ العجائب والغرائب
وجرّدتُ الاظافرَ من اكفّي ◆ مظفرةً وانشبتُ المخالب
وبتُّ بكل ذي جنحين أسطو ◆ واقهر كلَّ خطّافٍ مضارب
فكم شتّتُّ منهم في الفيافي ◆ وكم بددتُ منهم في السباسب
وكم غادرتهم في الجوّ فوضى ◆ وكم افنيتُ منهم في الشواهب
ولم انفكّ اسقيهم كؤوساً ◆ اجرّعهم بها مرَّ المشارب
ولم اترك بهم الّا فراخاً ◆ يتامى في العشوش غدت نوادب
فمثلي من يخوض وغى المنايا ◆ ويغزو هكذا ويعود غالب
لأنْ مجلوبُ من كرمٍ ولكن ◆ بعون الله للاحرار جالب
فهنّوا سيدي بي في مقالٍ ◆ يؤرّخ جاء بعد العزّ كاسب

وقال لمّا دخل الاستانة العليّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة:

مذ جئتُ اسلمبولَ شمتُ محاسناً ◆ دعت المحاسنَ كلّهنَّ الى الورا
فملوكها شرفُ الملوك وربعها ◆ خير الربوع واهلها نعم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هذا من قصائدهِ التي لم تُطبع في ديوانهِ. فاكتفينا بما سبق. ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامة انَّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرّوا بهِ الّا البعض منهم. ولما قال قصيدتهُ الخاليّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة « الخال » في معانيها المختلفة رواها:

أمن خدّها الورديّ أفتنَك الخالُ ◆ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على ناظمها. وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها:

الى الروم اصبو كلّما اومض الخالُ ◆ فاسكبُ دمعاً دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمّسوها كالشيخ ابراهيم يحيى العاملي والشيخ موسى بن شريف المشهدي

وتخميسهما في ديوان كرامة (ص ٣٥١ — ٣٦٠) . لكنَّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اوَّلها :

عهدناك تعفو عن مسيءٍ تعذَّرا ألاَ فاعفُنا عن ردّ شعر تنصَّرا

فاستاء من ذلك الادباء وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قمطرة الطوامير انتقاداً مطولًا على صاحبها . واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والرويّ اوَّلها :

لكل امرئٍ شانٌ تبارك من برى وخصَّ بما قد شاء كلًّا من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقولهِ :

حكمتُ وحكمي الحقَّ ناءٍ عن المرا بأنَّ التميميَّ الاديبَ تعثَّرا
بذمّ قوافٍ في تمام جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرَّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب :

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ بنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن عبَّادٍ يجاري مهلهلًا وكان مسيحيًّا تقدَّم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعرِ تغلبٍ يسوق بهِ القسّيس في الدير كالفرا (١

ومنها في مدح بطرس كرامة :

كما شاع حرُّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
فصيحٌ رقى اوج البلاغة يافعًا فاشعارهُ حلَّى بها ربع قيصرا
لافكاره غرٌّ القوافي قريبةٌ ومن غيرهِ بُعد الثريّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدَّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدمًا تصدَّرا
وقد كان لي من صالح خير صحبةٍ وعند اتّباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلٍّ تراني قد قضيت بحقهِ واسئل بارينا الهدى والتبصُّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصر الله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ . وكتقولا الترك وفي ديوانهِ عدة قصائد يطريء فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوال مستطرفة تجدها في مجموع نظمه (ص ١٠٩ — ١٢٨)

وممن مدحهُ ايضًا عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصباغ فكتب اليهِ رسالة اوَّلها :

---

١) راجع مجاني الادب (٤: ٢١٥) وهناك اشارة الى هذه القصَّة

تبسّم الزهر عن انفاسكم فسرى من طيب ذكركمُ نشرًا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركمْ والاذنُ تعشق قبل العين احيانا

فاجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقولهِ:

عشقتكمْ من قبل لقياكمْ وكلُّ معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنها من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق الله حسون الحلبي وسنذكر قولهُ في ترجمتهِ. واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانّ ديوانهُ الذي طبع لاوّل مرّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها:

رجلٌ وماذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حسنُ المعاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعناهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها:

يا بطرسُ الشهمُ الكريم مكانهُ وبنانهُ ولسانهُ المنطيقُ
انت الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضًا يعزيهِ بولديهِ وهو رثاء بليغ اولهُ:

أجمَلَ الله في فؤادك صبرا وجزى منةً واعظمَ أجرا

ومنها:

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئًا لأقامت خنساءُ قبلكَ صخرا
يطمع المرءُ في الحياة طويلًا وهو في الموت اوعن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمَّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرّةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين سَكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيرًا فلك الفضلُ كلّما زدتَ قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخرى فخذ زادها الذي هو أحرى

وقال الشيخ يؤرخ سنة وفاتهِ ١٨٥١:

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ وأشهرَ من زُهيرِ
فقُلْ يا ابنَ الكرامة قرَّ عينًا لبطرس أرِّخوه ختامَ خَيْرِ

وممن اشتهروا في هذا الطور الثاني اديب عاجلتهُ المنيَّة فقصفت غصن حياتهِ النضير وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ابيلا الذي روينا شيئًا من شعره في المشرق (٦: ٢٦٣–٢٦٥) وكان هذا الشاب مكفوفًا وهو شديد الذكاء والنباهة

يقول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره فأرخهُ بطرس كرامة بقولهِ :

بُنيٌّ لآبيلا بذا اللحد قد ثوى   بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ
ولمّا قضى نودي تنعَّمْ مؤرخاً   ونلْ فرحاً في جنَّة الخلد جرجسُ

وكان جرجس ابيلا مع صغر سنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامة فقال فيه ولعلَّ هذه الابيات لاخيهِ رفول :

لقد احييتَ فضل ابيك حتَّى   بفضلك فقتَ والدك الحكيما
ابوك اقد بنى لك بيت مجدٍ   وزدتَّ بمجدك المجد القديما

وكاتب الشيخ ناصيف اليازجي فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابح   وقصّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث :

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ   فاعطتْهُ منها سانحًا بعد بارحِ
تيمَّنتُ باسم الخضر فيهِ وانما   ترى المرء لا يخلو اسمهُ من لوائحِ
وبدتُ بهِ بل منهُ متعةَ سامعٍ   ويا حبَّذا لو نلتُ رؤية لامحِ
بهِ حسدت عيناي أُذني وربَّما   تُنغَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ابيلا قصيدة مدح بها السيّد عبد الله الجابري منها :

دُعيتَ بعبد الله انك سيّد   وبالجابريّ الالمعيّ تجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبك هائمًا   واضحى بك الشاني الظلومُ مكدّرا
حويتَ التُّقى والجدّ والمجد والهدى عن الجدّ حتَّى طبتَ فرعا وعنصرا

وله من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الاسير :

فيوسف يُدعى بالاسير لأنَّهُ   يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأسرِ
فهيمٌ كريم فاضلٌ متأدّبٌ   قداستوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجبَ العزَّ الرفيع معالثنا   لكثرة ما فيهِ من الشيم الغرِّ

وكان لجرجس ابيلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفُّول وكان ايضًا مكفوفًا كشقيقهِ ويشبههُ في توقُّد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهرا بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد عارضهما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياه في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ . وتأدب على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفى في مصر السنة المنصرمة . ومن شعر رفول ابيات نجت

من ايدي الضياع اثبتناها في المشرق (٦ : ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء اوّلها :

يا نسيم الصبح خُذْ عني السلام نحو قومٍ هيَّجوا فيَّ هيام

ومن اقواله في الشوق الى بعض الاحباب :

أخبرِ الاحبابَ عني انني بعد بُعدي عنهم ذقتُ الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دواماً وهي لم
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلص الآمال فيهِ لم يُضَمْ

وفي هذا العهد كان ايضاً الشماس حنَّا الماروني المعروف بالقزّي وزّي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيَّة لكن اكثرهُ قد فُقد . وممَّا سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعهِ :

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلَّموا
فلذا يُناديها الفؤَادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحك يا مريمُ

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيليب باسيل بنَّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبقَ منها الَّا ثلث طُبعت في برسلو من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانيَّة سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد والثانية مدح فيها البرنس دي جوانڤيل وكان اظهر مروَّة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احياء استنبول . وقال الثالثة في مدح غليوم الرابع ملك بروسيا . امَّا سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلَّ احد القرَّاء على آثره

وممَّن نختم بذكره هؤُلاء الكتبة والشعراء لهمَّته وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك المِلَّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جروه اشتغل بتعريب عدَّة تآليف دينيَّة اخصها مختصر

اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي وله كتاب مواعظ وكتب ترجمة عمهِ البطريرك ميخائيل جروه اوّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦١ في ١٢ ت ١٠ وعارضهُ في هذه التعريبات معاصرهُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّة (المشرق ٩ : ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣١ شهيد محبَّتهِ في خدمة رعيَّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيءٍ من الحركة العلميَّة التي استجدَّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها · ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميّة اسيويَّة يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة · وكانت الجمعيَّة الاسيوية الفرنسويَّة تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عاليًا كما تشهد عليهِ منشوراتها المتعدّدة · وكذلك الجمعيَّة الاسويَّة الانكليزية تجاري شقيقتها في همَّتها وان كان نظرها منصرفًا بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى · ومما استؤنف من هذه الجمعيَّات الجمعيَّة الاسيوية البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلّات الاسيوية الاوربيَّة وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّة ولاسيما العربيَّة · فاجتمع قوم من اصحاب الجدّ والعمل اخصهم ايفلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) وروديغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلَّة لمعرفة الشرق (Zeits. f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والاداب العربيَّة · وما لبثت جمعيَّة أُخرى اوسع نطاقًا وارقى علمًا فظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG) كان اول ظهورها سنة ١٨٠٥ ونشرت مجلتها سنة ١٨٤٧ فخدمت مذ ذاك الحين الاداب الشرقيَّة خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفًا جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفهِ · وقد احتفلت هذه الجمعيَّة قبل سنتين بيوبيلها الخمسيني وناهيك بذلك شاهدًا على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربيَّة فليس منهم احد نال فخرًا كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلًا عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمَّة فكان كمنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقيَّة في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس سنة ١٧٥٨ وفيها توفي سنة ١٨٣٨ . ما كاد هذا يميط عنه التمائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئًا عن علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اولًا العبرانيَّة ثمَّ السريانيَّة والكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركيَّة وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يُحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقًا وغربًا . ولو عدَّدنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقيَّة من تعليم وكتابة وانشاء مجلَّات وادارة دوائر علميَّة وتنظيم مكاتب لاتَّسع بنا الكلام كثيرًا . وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفًا ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادة نذكر منها غراماطيقهُ العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربيَّة في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ اللغويَّة في مجلد كبير وتاريخه لعرب الجاهليَّة وتعريف ديانة الدروز في مجلدين وكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربيَّة في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر . فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصًا على كل وصايا الكنيسة متمِّمًا لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي شهرة بمنشوراتهِ عن علوم العرب الفلكيَّة وهو جان جاك عمانوئيل سيديليو (J.-J. E. Sédillot) ولد سنة ١٧٧٧ ودرَّس في مكتب اللغات الشرقيَّة ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسيَّة كتاب الآلات الفلكيَّة المسمى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي وتآليف شتى لابن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومهِ الرياضيَّة . كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٢ . وسيأتي ذكر ولدهِ في محله

وزاد على سيديليو شهرةً مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسڤال (J. - J. A. Caussin de Perceval) كان مولدهُ سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥ . تولى نظارة المخطوطات الشرقيَّة في باريس وعلَّم اللغة العربيَّة في مكتبها الملكي والَّف كتبًا عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلَّقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويَّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيَّة وطبع ايضًا مقامات الحريري وامثال لقمان وملحقًا على كتاب الف ليلةٍ وليلة في مجلدين وتاريخ صقليَّة من عهد الاسلام للنويري وخلَّف ابنًا اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفَّاهم الله في هذا الزمن جوبار (Pierre Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيَّة في باريس ورافق نابوليون الاوَّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمَّ تجوَّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلَّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنَّف فيهما كتبًا وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلَّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضًا كتاب تاريخ غانة

وممن تخرجوا ايضًا على العلامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيفة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درَّس اللغات الشرقية بعد ان تلقَّنها في باريس . وكان عالمًا باللغة العربيَّة ولهُ فيها بعض آثار مشكورة منها منتخبات شعريَّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدَّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديَّة ونظريَّة في علوم العرب ولغتهم . توفي همبرت سنة ١٨٥١

وازهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. K. Rosenmüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٧ . اخذ العلوم الدينية عن ابيه احد كبار علماء البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولمَّا اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدّدة تدلّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها مقتطفات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلَّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرفًا من امثال الميدانيّ . لكنَّ معظم كتاباتهِ كانت في تفسير الاسفار المقدَّسة توفي في ليبسيك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزنغولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروث (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوَّل في اقطار اوربَّة ثمَّ عاد الى وطنهِ فقلَّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنتهِ احسن قيام . وهو ممَّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألَّف في ذلك كتابًا كبيرًا ولهُ كتاب آخر في الاصول السامية (Asia Polyglotta) وقد صنَّف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ اممهِ وآدابها . وبرَّز خصوصًا في اللغات التتريَّة والكرجية

واشتهر في زمانهِ المعلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ ... باريس في عهد دي ساسي ودرس عليهِ وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمَّ عُهد اليهِ بتدريسها في بلده وقد نشر مجموعًا من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمَّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلَّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر بهِ سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاتهِ ثم انجز الباقي منهُ المعلم فلَيشر ولهابخت ترجمة المانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذتهِ هاغن (V. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضًا عدَّة مقالات في المجلَّات الشرقية

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور [illegible]نيوس (H. W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرَّز فيها وصار في بلادهِ اماماً يُقتدى بمثلهِ ويؤخذ عنهُ . قيل انَّ عدد حضور دروسهِ اربى في مدينة هالّ على الالف . وقد ترك آثارًا جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميريَّة والسامريَّة لكنهُ كان في العبرانية حجّة ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلَّدات لا يزال العلماء يرجعون اليهِ وقد طُبع الطبعات العديدة . وكان يُحسن ايضًا العربية كما يظهر من مقالتهِ في المعجمين السريانيين والعربيَّين ابن علي وبن بهلول ومن رسالتهِ في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر هـ . بولس (H. Eb. G. Paulus) من مستشرقي

الالمان درس اللغات الشرقية في كلّيّة توبنغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقد بالوحي· ولهُ من الآثار العربية كتاب مختصر في اصولها باللاتينية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدَّسة التي ألّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلّق عليها شروحاً· كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيُّ فراهن (C. M. Frahen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمان واشتهر خصوصاً في معرفة النقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدَّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينية اخصُّها رسالة ابن فضلان في الرُّوس نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيَّا القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي انجزهُ بعد وفاتهِ العلّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب· ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في النقود العربية

امَّا الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدِن (W. Marsden) كان مولده في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترا وبقي فيها مدَّة ووضع تاريخها وكتب في اللغة المالبزيَّة واشتهر بكتاباتهِ في النقود القديمة والنقود الاسلامية وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطاني· كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدَّة الاستاذ هماكر (H. A. Hamaker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق ڤلمت (ص ٨٠٧) وتعلّم بزمن قليل اللغات السامية فضلًا عن سائر لغات اوربَّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كلية ليدن فعلّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرة قلما يبلغها العلماء وابقى آثاراً عربية متعدّدة منها وصف المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقديّ والمقريزي ورسالة ابن زيدون وتاريخ احمد ابن طولون· واشتهر كثير من تلامذتهِ

الفصل الخامس

الاداب العربية من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠

كانت حالة الاداب العربيّة في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوَّتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل الأحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة .

امَّا ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق . والظاهر انَّ اوَّل جريدة ظهرت في الممالك المحروسة انَّما كانت في ازمير انشأها المسيو بلاك (Al. Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها ببريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمَّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة افرنسية دعاها البشير العثماني (Moniteur ottoman) سنة ١٨٣١ ثم عقَّبها في السنة التالية بجريدة تركيَّة تُدعى « تقويمي وقائع » لكنهُ مات بعد قليل سنة ١٨٣٦ وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرى سنة ١٨٤٣ سمَّاها « جريدئي حوادث » . امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع « الوقائع المصريَّة » التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة . وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الاسبوع . ثمَّ توفَّرت الجرائد في الممالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١—١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و٥ في ازمير و٤ في مصر (*Cfr.* Journ. As., 1852[b], p. 248) في التركية والفرنسويّة والارمنيَّة واليونانيّة والعبرانية والعربية (١ . وجاء في مجلة الهلال (٥ :

١) جاء في كتاب اوبيشيني (Ubicini: *Lettres sur la Turquie*) انَّ في الاستانة وحدها كانت تُنشر في السنة ١٨٥١ :١١ جريدة ٤ افرنسية و٤ ايطالية و٢ في التركيَّة و٢ في اليونانية والارمنية والبلغارية وذكر بيلن (Belin) انَّ عدد جرائد الاستانة وحدها سنة ١٨٦٦ كان يبلغ ٣٦ عدًّا هذا ما خلا سبع جرائد بالفرنسويَّة والالمانية والانكليزيَّة والايطالية وفي سنة ١٨٧٦ كان عددها في دار السلطنة لا يقلّ عن ٤٧ جريدة ١٣ في التركيَّة و٩ في الارمنية و٩ في اليونانية و٧ في الافرنسية و٣ في البلغاريَّة و٢ في العبرانية و٢ في الانكليزيَّة و١ في العربية

٣٠٠) انَّ رزق الله حسُّون الحلبي انشأَ في دار السعادة جريدة عربيَّة وسمَّاها «مرآة الاحوال» والمعلوم انَّ هذه الجريدة كانت تُطبع في لندن. وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب. امَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها «حديقة الاخبار» انشأها فقيد الاداب المتوفى في العام الماضي خليل افندي الخوري ظهر اوَّل اعدادها في غرَّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتَّى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ. وفي سنة انشاء حديقة الاخبار ظهرت في مرسيلية جريدة «عطارد» كان يديرها المستشرق كرلتّي (Carletti)

وأُنشئت في اثر تلك النشرات عدَّة جرائد اخصُّها الرائد التونسي وهي جريدة تونس الرسميَّة سنة ١٨٦٠. وفيها في تمُّوز انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤. وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرائري التونسي. وعقبها في دمشق جريدة سوريَّة الرسميَّة ظهرت سنة ١٨٦٥. ثمَّ وليها في مصر جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركُون في بيروت بتحرير جريدة دينيَّة دعوها «النشرة الشهريَّة» ثمَّ ابدلوها في غرَّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيَّة. فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكيَّة انشأها الآباء اليسوعيُّون في السنة نفسها ودعوها «المجمع الفاتيكاني» ثم عقبها «البشير» في ايلول من تلك السنة وكان اوَّلًا على قطع المجلَّات ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتّساع وتحسين حتى صار كما هو اليوم. ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلَّات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريَّة عُني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السريانيّ وكانت ادبيَّة وعلميَّة والنجاح وكانت اخباريَّة سياسيَّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون. ثم صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس. وفي تلك السنة ذاتها انشأ المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلة الجنان وجريدة الجنَّة فصار لهما رواج!

وممَا امتاز بهِ هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيات العلمية في الشرق فعُقدت جمعية آسويَّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينها واسماء اعضائها في المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. VI, 273-285) وكذلك اخذ العلماء المصريُّون يضمُّون قواهم لنشر الاداب فبهمَّتهم طُبعت في بولاق تآليف معتبرة كالاغاني لابي الفرج

الاصفهانيّ وامثال الميدانيّ واحياء علوم الدين للغزّاليّ والخطط للمقريزيّ

ولم تخلُ سوريّة من جمعيّات علمية نفعت الآداب بمنشوراتها الحسنة فتشكّلت في بيروت منذ السنة ١٨٥٢ الجمعية السوريّة وضمّت اليها عددًا من الذوات كحسين افندي بيهم والامير محمّد امين والوجوه ابراهيم فخري بك وبولس دبّاس والشيخ ناصيف اليازجي والأُدباء بطرس البستاني وسليم رمضان وسليم شحاده والدكتور سوكه وعبد الرحيم بدران وعالي سميث وموسى يوحنا فريج وحنين الخوري ويوسف الشلفون وحبيب الجلخ. ثمّ اتّسعت دائرة اعمالها ونالت من الدولة العليّة الرخصة بنشر ابحاث فنُشرت اوّلًا من حين الى آخر دون وقت محدّد ثمّ طبعت قوانينها سنة ١٨٦٨ وصدرت اعمالها في كل شهر بنظام فقال سليم افندي رمضان مؤرخًا استئناف فتحها تاريخًا هجريًّا ١٢٨٤

قلتُ للدهر والنجاحُ تبدّى قمرًا في بلادنا السوريّهْ
اي يومٍ يتمُّ ذا قال ارّخْ يوم فتح الجمعيّة العلميّهْ

وطُبعت هذه النشرة خمس سنوات ثمّ عُدل عن طبعها. وقد نفعت تلك الجمعية المعارف والاداب بهمّة اعضائها الذين سنذكرهم في تواريخ وفاتهم. وكان مثلهم مؤثرًا في غيرهم لاسيما ان اصحاب الامر وعمّال الدول العلية كانوا يقدّرون قدرهم وينشطون هممهم وربما شرفوا جمعاتهم الادبية كاصحاب الدولة فؤاد باشا ويوسف كامل باشا ومصطفى فاضل باشا ومحمّد رشدي باشا واصحاب السعادة قناصل الدول وغيرهم.

امّا المدارس فانّها زادت في هذا الطور ترقيًا لاسيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لاسيّما كليّتهم التي علّموا فيها اللغات والعلوم وكانت الدروس تُلقى فيها اوّلًا بالعربيّة وطبعوا عدّة كتب مدرسيّة في ضروب العلوم كالطبيعيّات والرياضيّات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمّ اتخذوا للتدريس اللغة الانكليزية لتوفّر اسبابها لديهم.

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصّها المكتب العسكري الذي ترقّى بهمّة اصحابه ونال الشهرة في انحاء سوريّة. والمدرسة الوطنيّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولدهِ سليم. وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثذكس مدرسة الثلاثة الاقمار

على طرز المدرسة الوطنيَّة . وفي اواخر تلك السنة وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركيَّة فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرَّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيَّة . ولم يلبث السيّد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليركيَّة لتهذيب طلبة الكهنوت . ومن المدارس المارونيَّة المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همَّام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العريّة والاخرى مدرسة المحبة جدَّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦١

امَّا المطابع فانَّها في مدَّة العشرين سنةً اصدرت عدداً لا يُحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سوريَّة او في مصر والهند. وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في الشرق وممَّا استجدَّ من المطابع في هذا الزمان في بيروت المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة١٨٥٧وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣: ٩٨١) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعةً عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقيَّة (المشرق ٣: ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣: ٩٩٩) فنشر فيها عدَّة كتب ونشرات وجرائد . ثمَّ ظهرت المطبعة المخلصيَّة سنة ١٨٦٥ فخدمت الآداب العربيَّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣: ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانيَّة التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤: ٨٩) وكذلك ظهرت وقتئذٍ المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤: ٨٦) . ثمَّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى سنة ١٨٧٤ حيث انشأ المطبعة الادبية . وكان آخر ما أُنشئ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الغرزوزي (المشرق ٤: ٨٦—٨٧) ومطبعة الجمعية الارثذكسية لجرجس يزبك التي لم تطل مدَّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيَّة

وفي هذا الطور نفسهِ انتشر فنّ الطباعة العربيَّة في لبنان وكان قبلها منحصراً في مطبعة مار يوحنَّا الصابغ في الشوير امَّا مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيَّة . واوَّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنَّا بك اسعد

الصعب باشر اوَّلًا سنة ١٨٥٣ بعض المطبوعات الحجريَّة ثمَّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢. ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لمتصرفيَّة لبنان فأنشئت المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجَّار ثمَّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩. وفي المطبعة اللبنانيَّة طبعت جريدة لبنان الرسميَّة كان يحرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤: ٤٧٣)

ثمَّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤: ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات. وأنشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤: ٤٧٣)

امَّا الجهات فظهرت فيها ايضًا مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنَّا الدوماني سنة ١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنَّا الحدَّاد ثمَّ الى محمَّد افندي الحفني. ثمَّ جلبت ولاية سوريَّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسميَّة «سوريَّة» مع عدَّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤: ٨٧٩) — وأُنشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الاباء الدومنيكان فأدت للدين والعلم والآداب خدمًا متعدّدة ولم تزل حتى اليوم جارية على خطَّتها (المشرق ٥: ٤٢٢). وفيها انشئت ايضًا المطبعة الكلدانيَّة بهمَّة الاديب الشمَّاس رافائيل مازجي سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥: ٨٤٠) — وظهرت في كربلاء مطبعة حجريَّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥: ٨٤٣) ثمَّ استحضر المرزا عبَّاس مطبعةً اخرى حجريَّة في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥: ٨٤٣ — ٨٤٤). ثمَّ بطلت تلك المطابعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ فأُصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥: ٨٤٣) — وكذلك حلب فانَّ فنَّ الطباعة تجدَّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر. وكان اوَّلًا احد الفرنج المدعو بلفَنْطي السرديني نشر بعض المطبوعات الحجريَّة في الشهباء منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير. ثمَّ اهتمَّ الطيِّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتابًا بين كبير وصغير (المشرق ٣: ٣٥٧ — ٣٥٨)

أمَّا اوربَّة فكانت فيها الدروس الشرقيَّة لاسيما اللغات الساميَّة على خطَّتها

الشريفة. وكان عدد وافر من تلامذة دي ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبعثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاته واحياء دفائنه فعُقدت جمعيات جديدة وأُنشئت المدارس وتوفّرت المطبوعات والخزائن الكتبيّة. وكانت فرنسة في مقدّمة الدول لما كان بينها واقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصًا بلاد الجزائر

وممّا ساعد على توفير اسباب الترقي للآداب العربيّة في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصّة بطاركة اجلّاء محبّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم. فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد المفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغاله في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفه او ترجمته نيفًا وخمسين كتابًا طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيّات. فكان مثال جدٍّ ونشاط لم تخمد همّتهُ الّا مع خمود انفاسه في ١٠ آب سنة ١٨٥٥

وقام على الطائفة المارونيّة غبطة البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحقّ القانوني خلّف من كلّ هذه العلوم آثارًا حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا في المشرق (٩ : ٦٩٧) ما لهُ من المآثر العلميّة. ولمّا دعاهُ الله الى دار الخلود في سنة ١٨٥١ خلفهُ ذلك الرجل المفضال الكثير المبرّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفته في مدرسة الشرفة وفي مدرسة غزير ومدرسة البروباغندا في رومية العظمى فخرج من هذه المدرسة رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

امّا الارمن الكاثوليك فكان يدبّرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينسى تعزيز الآداب في طائفته فاهتمّ في نماء مدرسة بزمّار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصيّة كما انّهُ ارسل الى غزير بعض بني جنسه فانجزوا فيها دروسهم ثمّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينيّة. ثمّ قام بتدبير الطائفة الارمنية السيّد انطون حسّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على مثال سلفه في نشر الآداب بين أبناء امّته

وكذلك الكلدان فانَّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨ — ١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملّتهِ . وهو الذي انشأ لابنـاء طائفتهِ مدرسة اكليركيَّة في الموصل وارسل احداثًا منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيَّة في هذا العهـد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور ڤان ديك فانكبُّوا على درس اللغة العربيـة حتى اتقنوها . وكان من اثار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدَّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرسْ البستاني فعرَّب قسمًا من كتب موسى ثمَّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور ڤان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كنـانة جهده حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجي . ثم طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧ . ولم تُثبَت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيَّة الثانويَّة . وصار لهـذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمسـاعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلًا واسمل موضوعًا وابلغ لسانًا واجود طبعًا

الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور (١٨٥٠—١٨٧٠)

انحصرت الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور الثالث اعني من السنـة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم اللسانيَّة خاصَّةً من صرف ونحو ولغة وبديع وبـيـان وشعر وادبيات منثورة . امَّا التاريخ والعلوم الطبيعيَّة والهيئة والرياضيَّات فانَّ التأليف فيها كان نادرًا . الَّا انَّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعيّ الطحطاويّ في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرَّبوا عدَّة مؤلفـات اوربيَّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريباتهم دليلًا على سعة اللغة العربية ومرونتها وكفايتها للمعـارف العصريَّة . فنهج غيرهم منهجهم بعد ذلك لاسيا جماعة الاميركان في بيروت . وهـا نحن نختصر تاريخ أدباء المسلمين في هــذا الطور بذكر مشاهيرهم بلدًا بلدًا مباشرة بالشام ثمَّ مصر ثمَّ العراق وبقية البلاد

﴿ ادباء المسلمين في الشام ﴾ يحضرنا منهم اسماء قليلين ولعلَّ مصنَّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصَّة . فمَّن اشتهروا في هذه المدَّة بآدابهم السيد مصبـاح

البربير اسمهُ محمَّد بن محمَّد البربير وجدُّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناهُ في جملة ادباء الطور الاوَّل من القرن التاسع عشر. ولد محمَّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغرهِ نجابةً عظيمة فبعد اتقانهِ اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايَّامهِ كالشيخ عبد الرحمان افندي النحَّاس والشيخ عبد الله افندي خالد البيروتي واخيهِ الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفة كاتب وكان في شرخ شبابهِ مولعًا بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن فضلهِ. وقد وافاهُ اجلهُ فقُصف غصن شبابهِ طريًّا في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنة ١٢٧٢ (١٨٦٥م). ولهُ ديوان صغير جمعهُ شقيقهُ الاديب عمر البربير فطبعهُ في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) ودعاهُ البدر المنير في نظم مصباح البربير. فمما نظمهُ مصباح قولهُ مؤرخاً بناء دارٍ لوالدهِ سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

لمحمَّد البربير دارٌ قد زهتْ ونجوم مطلع عزّها حرَّاسُها
في بابها كتبَ المؤرخ قُلْ بها دارٌ على التقوى أُقيم اساسها

ومن ظريف اقوالهِ تهنئة بمولد ابن عمهِ محمَّد نجيب ابن احمد البربير سنة ١٢٨٢:

بُشراك احمد قد اتاكَ نجيبُ حَيِيَتْ بمرآهُ نُهًى وقلوبُ
نجلٌ كُسي من كل ظرفٍ حلَّةً فهوَ الحبيبُ بلى ابوهُ حبيبُ
قد لاحَ في افق السعادةِ ساطعًا ان غابت الاقمارُ ليس يغيبُ
في مهدهِ كالعندليب مغرّدًا وكذا اللبيبُ من المهاد لبيبُ
الخيزرانُ حباهُ لين غصونهِ لطفًا ونفحتَهُ حباهُ الطيبُ
نادت علاماتُ السعود بوجههِ يحيى سعيدًا انهُ لأديبُ

ولهُ مكاتبات مع بعض ادباء زمانهِ نخصُّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليهِ:

برعتَ واللهِ في قولٍ وفي عملٍ لفظًا ومعنًى وتهذيبًا وإفصاحا
أعطاك ربُّك نورًا يُستضاء بهِ فقد اصاب الذي سمَّاك مصباحا

فاجابهُ محمَّد مصباح بقولهِ:

يا من غدا شعرهُ الشِعْرَى فكان لنا قاموسَ فضلٍ وللتلخيصِ ايضاحا
لأنت شمسُ علومٍ حين مطلعها كم أخجلتْ قمرًا يزهو ومصباحا

(محمَّد ارسلان) واشتهر ايضًا في الشام بآدابه وتآليفهِ الامير محمَّد ابن الامير

امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وطلب العلوم منذ حداثة سنّهِ وتعلّم اللغات الاجنبية فضلًا عن اللغات الوطنية. ولمّا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ فوّضت اليهِ الحكومة السنية ادارة الغرب الاسفل فتولّاها تحت نظارة والدهِ حتى مات والدهُ سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعمل والدهِ. ثمّ انتقل الى بيروت مع اهل بيتهِ واستوطنها وتفرّغ للتأليف والكتابة وكان عضدًا لكلّ طالبي الآداب ساعيًا في ترويج العلوم يجمع في دارهِ محبّي المعارف. وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٤) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة لتعهد اليهِ بعض المهامّ لكنّ الموت عاجلهُ عند وصولهِ فمات بمرض القلب ولهُ من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وتآليف عدّة في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والمسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلّاب في علم الآداب. والتحفة الرشديّة في اللغة التركية الذي نُشر بالطبع. وكان بين الامير محمّد امين وأدباء زمانهِ مكاتبات تدلّ على براعتهِ في فنون الآداب. وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فلهُ في ابيهِ الامير امين وفيهِ اقوال حسنة فقال في الامير امين:

كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ ... فقد سُمّي امينًا بالصوابِ
وليس بخلٌ في الدنيا بشيءٍ ... لغير المال من حفظ الصحابِ
يعيشُ بظلّهِ من عاش منّا ... ويقضي تحتهُ ميتُ الترابِ
ويُدركنا نداه حيثُ كنّا ... على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسبنا مكارمهُ ارتفاعًا ... كصفرٍ زاد في رقم الحسابِ
فدام نداهُ يقرعُ كلَّ بابٍ ... ويأتيهِ الثنا من كل بابِ

ومن حسن اقوالهِ في المير محمّد ما كتبهُ اليهِ يعزّيه في ابيهِ بقصيدة كان مطلعها:

ما دام هذا اليومُ يخلفهُ غدُ ... لا تُنكروا انّ القديمَ يُجدَّدُ
لا تُقطعَ الاغصانُ من شجراتها ... الّا رأينا غيرها يتولّدُ
هذا الامينُ مضى فقامَ محمّدٌ ... خلفًا فنابَ عن الامين محمّدُ

وختمها بقولهِ:

خلفٌ كريمٌ أشبهَ السّلفَ الذي ... كانت له كلُّ الخلائقِ تشهدُ
ما كان يوجدُ كالأمين بعصرهِ ... واليومَ مثلُ محمّدٍ لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اوَّلها :

انَّ الامير محمَّدًا مفضالُ من آلِ رسلانَ ونعمَ الآلُ

وقال يصف معارفهُ :

سيَّانِ في نظمٍ ونثرٍ قولهُ فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ عدالُ
قد ألَّف الكُتُبَ التي شهدت بأنْ أصحاب آرسطو عليهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايَّ اجادةٍ وبكلّ فنٍّ لم يَفُتْهُ مقالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيهِ بوالدهِ بقصيدة هذا مطلعها :

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ انَّ ابن آدم فوقها لا يخلدُ

ومنها في مدح الفقيد :

غدت بنو رسلانَ ناحبةً ومن فرط الاسى أمست تقومُ وتقعدُ
لك يا ابن مع القلوبِ أمانةٌ حزنٌ بها اودعتها لا يُنفَدُ
فارقتَ لبنان الذي سدّتهُ دلًّا وكان الظنّ لا يتمهَّدُ
اضرمتَ نارًا في القلوب كأنها نار القرى بحماك ليست تخمدُ

(محمود بن خليل) وممَّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالعظم الدمشقيّ لهُ في المكتبة الخديويَّة (٤ : ٣٥٣) ديوان شعر خطَّهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية . وكان صاحب الديوان موجودًا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا شكَّ في انهُ اشتهر في هذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غير هذين المذكورين الَّا انَّ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تاريخهم . وممَّا وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيهِ قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق نظموها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهناك اسماء عدَّة ادباء مرَّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافيّ والسيّد احمد البربير والسيد الشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة والياس اده والبعض الآخر لم نعرف منهم غير اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاجّ علي ابن السيّد البكري والسيّد عمر افندي الكيلاني . وكلهم قصائد اجادوا فيها لكنَّنا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ أُدباء مصر ﴾ خلَّف لنا أُدباء المسلمين المصريين مادَّة اوسع من اخوتهم في الشام وممَّا ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع . ودونك اسماءهم :

(عليّ الدرويش) هو السيّد عليّ افندي الدرويش. بن حسن بن ابراهيم المصري الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصريّ وتقرَّب من اصحاب الامر ومن أُدباء وطنهِ فمدحهم وكاتبهم . ولمَّا توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانهُ واقوالهُ النثريّة تلميذهُ مصطفى سلامة النجاري فطبعهُ على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وأَرَّخهُ بالإشعار في حميد الاشعار (١٢٧٠) . وها نحن نورد منهُ بعض امثلة بيانًا لفضل قائلهِ . قال مؤرخًا قصر صديقهِ عرفي افندي :

وقصرٍ كالسماء بـهِ نجومٌ ... مطالعُها السعادة والبـدورُ
على اقطـاره تبكي عيونٌ ... اذا ابتسمت لوارده زهورُ
فليس لوافـد وافـاه نهرٌ ... وقد نفدت لمدحتهِ البُحورُ
لئن اضحى لمبنـاهُ مثونٌ ... فقد شُرحت لرونقهِ الصُدورُ
يقول الروض اني مستـعيرٌ ... شذا عرفي ومن عرفي العبيرُ
اذا سارت مواكبُ كلّ لطفٍ ... بمن فيها فذاك هو الاميرُ
وحسبك روضةٌ في كل مجدٍ ... وفضل بالبنـان لهُ يشيرُ
تقاصر من سنـاهُ ذو ثناءٍ ... وحسن القصر ما فيهِ قصورُ
يقول العزّ والاسعـاد ارّخ ... سعود البيت يا مرفي منيرُ سنة ١٢٥٩

وقال شاكرًا :

سُررت بنيل القصـد من غير موعدِ ... ولا شيء اشهى من سرورٍ مجـدّدِ
سُررت بنعماه ولكن حزنتُ من ... قصوري بحق الشكر في فضـل سيدي
لهُ الحمـدُ والشكر الذي هو اهلـهُ ... وقلَّ له حمـدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضوٍ فيهِ عدّة ألسنٍ ... لأعجزني شكر الندى المتعـدّدِ
وهل انا الّا عبد احسـان عفوكم ... فاضحى لديه مدحكم كالتعبُّدِ
تعوّدتُ لولا لطفكـم غير عـادتي ... وصعب على الانسـان ما لم يعوّدِ
وزدتم نعيمي نعمـةً ابديـةً ... وزدتم مقامي رفعـةً فوق مقصـدي
وكدّرتم ظنّ الحسود بنعمتي ... واشهى من الانعـام تكدير حسَّدي
وحمّلتني مـا لا أُطيق وجوبهُ ... فينطق حالي عن لسـاني المقتـدِ
واشهى لروحي عند ترويح فكرهـا ... بصورة معنـاه من السوسن النـدي
وقلّـدني حسنُ السلوك الى المنى ... واهديتـهُ حبَّـات درّ منضّـدِ

وهل يُهدى للاملاك تاليفُ جوهرٍ وهل عرَضٌ يُهدى لنور مجرَّدِ
فيا اسعد الله السعيدَ لملكه ودولته والموكب المتجندِ
فقد اشغل الدرويش شكرًا مؤرخًا مليك سعيد النجم خير محمَّدِ

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يُعاصره وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمَّد بن اسماعيل وُلد في مكّة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمَّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيما شيخَي الازهر محمَّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشعر . ولمَّا انشأ الشيخ حسن اوَّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريَّة سنة ١٨٢٨ اتَّخذ كمساعد لهُ في انشائها شهابَ الدين المذكور ثمَّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصحّحًا لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف . وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب « سفينة الملك ونفيسة الفالك » ضمَّنهُ مجموعًا وافيًا من الزجليَّات والموشحات والاهازيج والمواليا التي يتغنَّى بها ارباب الفنّ في محالي الافراح ومعاهد السرور ولمَّا اتمَّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ :

هذي سفينةُ فنٍّ بالمُنى شُحنتْ والفضلُ في بحرهِ العجَّاج أجراها
واذ جرت بالاماني فيهِ أرَّخها سفينةُ البحر بسمِ الله مجراها

ثمَّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ القصائد الرنانة في كل فنون العروض ومعاني الشعر . فمن نظمهِ قولهُ يصف مزولة انشأها حضرة سلامه افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البروج الاثني عشر

ومُظهرةٍ للوقتِ ظهرًا وغيرهِ وللبرج ايضًا فهي واحدةُ العصرِ
سلامةُ منشي رسمها وحسابها لجامع خيراتٍ تفرَّد في مصرِ

وقال من قصيدة يمدح بطرس بكتي اذ زارهُ يومًا وكان قنصلًا لدولة روسية :

اتى ينجلي كالبدر في سندسيَّةٍ وهل حلَّ في الآفاق بدرٌ بأطلسِ
فتمَّ ليَ الصفوُ الذي كاد حظّهُ يكونُ كحظي يومَ ايناسِ بطرسِ
ألا وهو تاج الفخر والحسنِ والبها مُشيّد اركان المكرماتِ المؤسسِ
جميل السجايا الالمعيّ فطانةً رقيق الحواشي ذو الحجى والتفرُّسِ

هشوشُ الحيَّا ضاحك السنّ دائمًا حليفُ المعاني ذو الجناب المقدَّسِ
بنفسِ افدّيهِ وقد جاء زائرًا بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلسِ
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ فتثنيهِ غايات الكمال بانفسِ

وقال عن لسان بعض الكاثوليك يمدح كبير ملّتهم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بابا النصارى مربي روح ملّتهم حامي حمى كلّ شمَّاسٍ وقسّيسِ
شخصٌ ولكن هيولى روحهِ ملكٌ وجسمهُ صورةٌ في شكلِ قديسِ
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ دينَ النصارى بتثليثٍ وتغطيسِ
تسعى الملوك الى تقبيل راحتهِ في البحر والبرّ فوق الفلك والعيسِ
احيا الكنائس جسمًا بعد ما درست وشيّد الروح تشييدًا بتأسيسِ
فعظّموا الربّ فيها بالصلاة لهُ ومجّدوهُ بتسبيح وتقديسِ

ولهُ في مديح حنَّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ اذا لجأنا اليهِ في مخوفٍ ممَّا نخافُ امنَّا
من أتاهُ مستنصرًا بحماهُ عاد بالنصر بالغًا ما تمنَّى
كلّما عنَّ امر خطبٍ مهمٍّ بك فيما نراهُ عنَّ استعنَّا
يصنعُ المكرمات سرًّا وجهرًا وهو في عون من يقولُ أعنَّا
كلّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ عنهُ ولَّت همومهُ واطمأنَّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسيّ الشاعر الذي مرَّ لنا ذكرهُ هذا اولها:

لا رعى الله يوم حان وداعي انهُ جالبٌ لحَيْني وَداعي
فيهِ قد ازمع الرفاق فراقًا واصات الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلًا يتجارى وفؤادي في موقفِ الايداعِ

الى ان قال:

أَتُرى هل تعودُ اوقاتُ أُنسي وبقرب المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمان جاء بنصري فبحمدٍ يُجزى وشكرِ مساعي
هو بحرٌ تُروى المآثر عنهُ بل هو البرّ في جميع البقاعِ
روضُ آدابهِ الفضيض جناهُ عَطِرُ النشر طيّب الاينـاعِ

وختمها بقولهِ:

زادك الله بهجةً وكمالا ما ترجَّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لتُرسم على سفرة الطعام:

ايهـا السيـد الكريم تكرَّمْ	وتناولْ ما شئت اكلًا شهيًّا
وتفضَّلْ بجبر خاطر مَنْ هم	أتقنوا صُنعـهُ وخذ منهُ شيًا
وتمدَّث على الطعـام وآنسْ	واحدًا واحدًا بشوش المحيًّا
واستزدهم اكلًا وقلْ انَّ هذا	طابَ نضجًا وصار غضًّا طريًّا
فهلمُّوا بنا ومدُّوا اليهِ	ايديًا باعُها ينالُ الثريَّا
ثمَّ قُلْ يا احبتي هـل لكم في	بعض شيْءٍ من النبيذِ المهيَّا
ولئن ساغَ شربـهُ للتمرّي	فكلوا واشربوا هنيًّا مريًّا
واذا ما آكلت ضيفًا فارّخْ	انَّ هذا لرزقنا كُلْ هنيـًا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسـلام ابراهيم البيجوري. ولد في قرية البيجور بمديريَّة المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدَّةً وتتلمذ للشيخين محمَّد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبـة الازهر وتفرَّغ للتأليف فوضع كتبًا عديدة في التوحيد والفقـه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس ثم انتهت اليهِ رئاسة الازهر. قيل ان صاحب الدولة الخديوي عبَّاس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحق بأُدباء مصر احد مشـاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق. ولد سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٧م) وكان منذ نعومة اظفارهِ مغرًى بالاداب كثير الحفظ من مختار الشعر. قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب المتون العلميَّة ومأثور الاخبار وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر. ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائدهِ وطبعها الهمام محمَّد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هـذا الديوان « بالدرّ البهيّ المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق » . وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) ومما جاء فيـهِ من الحكميَّات قولهُ:

انَّ الفضيلة في الانام غدت على	شرفِ النفوسِ الشمّ اقوى حجَّةِ
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى	من سادة الابطال اهل الهمَّـةِ
أوضحْ لنـا نور الشهامة مثلهم	وعلى رفيع المجـد أحسنَ غيرةِ
واذا اردت الفخر فاسهر دائبًا	لطلابهِ واهجرْ لذيذ الهجعـةِ

فتكونَ ذا شرفٍ فنالك دلائل   دلّت على شرفٍ وكلّ فضيلةِ

وقال مستعطفًا لصديق نفر عنهُ :

يا معرضًا متجنبًا   حاشاك من نقض الذمامْ
مولاي ما لك قد بخلتَ عليَّ   حتّى بالكلامْ
سلّم عليَّ اذا مرر   تَ فلا اقلَّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروس افندي الباش كاتب القبطي :

لا شكَّ عندي في فناء الوجودْ   فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ
والمرءُ مجزيٌّ باعمالهِ   فشأنهُ يومَ تُقامُ الحدودْ
وانما طوبى لمن قد قضى   دنياهُ بالخير وسعد السعودْ
كالبارع أسكاروسَ في فضلهِ   باهي الحجا والجدّ غيظ الحسودْ
فقلْ لراجي شأوهِ ارّخوا   يكفي ثوى أسكاروسُ دارَ الخلود (١٨٦٠)

وقد عُرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرّرًا للوقائع المصريّة في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص١٢١ و١٢٩) . وكذلك في مصنّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمّد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندريّ والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمان افندي الزيلعيّ والشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ . ولكلّهم قصائد جيّدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعرهِ لكنّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئًا . فممّا روى للشيخ محمّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر :

دهانا بوادي النيلِ كالسيل حادثٌ   لهُ تَذهَل الالبابُ حين يحيفُ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شاع ذكرهُ   وما هو الّا هيضةٌ ونزيفُ
بهِ احتارت الافكارُ والعقل والنُّهى   وكل طبيبٍ شأنهُ العلمُ موصوفُ
فلم يبقَ دارًا لم يَزُرها ولم يذرْ   جنانًا بهِ ركبُ السرور يطوفُ
تُشكلنا رجالًا للزمان نعدُّهم   طروسًا وهم للمعضلاتِ سيوفُ
تراهم ليوم اليأس والبأس عُدّةً   وجاههمُ للقاصدينَ منيفُ
وكم فيهم من اهل ذوق وفطنةٍ   وفيهم لطيفٌ أَلمعي وظريفُ
لقد أقشبت اقطارُ مصرٍ لفقدهم   وكان بهم روح الكمال قطيفُ
نأوا وأقاموا بارح الحزنِ في الحشا   فليس بديلًا تالدٌ وطريفُ

فشيَّههم عقلي وفكري وفطنتي ولم يبقَ من لبي لديَّ طفيفُ
وناقصُ امثالي صحيحٌ مضاعفٌ ومهموز حزني اجوفٌ ولفيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجيّ :

لقد قصدَتْ بيروت دار اعزَّةٍ لهم تنتمي الآلاء في اللفظ والمعنى
نزيلهم قد شكَّ في اصل داره وصار يقين الامر في علمه ظنَّا
مدينة ظرفٍ ما بها غير فاضل بسيمٍ وسيمٍ قد حوى الحُسْن والحسنى
تشدُّ لهُ الالبابُ كلَّ مطيَّةٍ مجرَّبةٍ الاسعاف في كل ما عنَّا
صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم على انَّ ذاك الغير قدوة من اثنى
وما منهمُ الَّا وقد شبَّ طوقهُ بنادي نصيفِ اليازجيّ وقد أفنى
مجيد المعاني وهو للقول حجَّةٌ لاهل النُّهى كم قد اجاد لنا فنَّا

ومن اقوال الزيلعي في المدح :

بلغتَ مقاماً لم تنلهُ الاوائل وحزت كمالا تبتغيهِ الافاضلُ
ولستَ سواء غير فضلكَ يرتجى لكل مُلمٍّ فيهِ تُدمى الصياقلُ
ولولاك لم تدرِ العلوم بانَّها تجلَّ وان قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخرِ في فضلك الذي بنيتَ لهُ ركناً ليرجع ثاكلُ
ويقصر باع الدهر عن وصف ماجدٍ لهُ جُمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ تطول اذا مُدَّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود افندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت :

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي فتّعوا جدركم من قبلُ بالحذرِ
اكبادُ اهل الهوى حرَّى وما بردت الّا لترمي من الاشواق بالشررِ
ودونكم حرَّ لبي فهو رقّكمُ وازرعوا ذمام شجٍ فيكم على سفرِ
ملكتموه بالفاظٍ همُ دررٌ ورابحٌ مَنْ شَرَى الالباب بالغُرَرِ

وللشيخ حسن بن علي الدقّاني الاسكندريّ يصف ديوان الشيخ ناصيف :

بدائع ما فيها سوى السحر منطقٌ حلالٌ وفي اجناسها لا ادافعُ
اذا جرَّ فوق الطرس سُمْر يراعهِ تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح ينشي او يكاتب صحبهُ فغرُّ معانيهِ الحسانِ تسارعُ
كانَّ صرير السمر في روض طرسهِ غناء حمامٍ وهو بالشعر ساجعُ
تآليفهُ قد فصَّحت كل اعجمٍ بليدٍ وكم ولَّى بليغٌ وبارعُ
لآلئُ من زهر الربيع تناثرت الينا وفي منظومها السرُّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم ثناؤه ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ

﴿ أُدباء المسلمين في العراق ﴾ تذكَّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فاراد أَن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب . وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلاً عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

(الالوسيُّون) هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من أَلوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برَّز بينهم أَولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبدالله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الأَدب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

واوَّلهم ابو الثناء شهاب الدين السيّد محمود افندي المعروف بالشهاب الأَلوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي العقدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كَلِف بالعلوم منذ حداثة سنّهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلتهُ عن حطام الدنيا وأَنستهُ هناء العيش وملاذّ الحياة وبرَّز بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل بأعلام العلماء وائمة الادباء وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ . ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزًا ممدَّحًا بكل لسان مشمولًا بأَلطاف الحضرة العليّة السلطانيَّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأْن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلتهِ في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام . وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحدهِ في قوَّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقلّ من ورقتين كبيرتين . وقد أَلف كتباً عديدة في التفسير والفقه

والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق . وكتاب كشف الطرّة عن الغرّة وهو شرح على درّة الغوّاص للحريري . ومن تآليفهِ رسالة في الانسان . ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة . وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها . وكان لهُ شعر قليل الّا انهُ غاية في الرقّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ :

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وتغدو عيوني من مسرَّتها عَبرَى
والثمُ اخفافًا وطئنَ ترابهُ ‏ ‏ ‏ ‏ واكحل اجفانًا بتربتهِ العَطرَى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكبًا ‏ ‏ ‏ ‏ تمرُّ اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوبها ‏ ‏ ‏ ‏ أُداوي بها يا ميُّ مُهجتيَ الحرَّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها :

ارضٌ اذا مرَّت بها ريحُ الصبا ‏ ‏ ‏ ‏ حملت من الارجاء مسكًا أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها ‏ ‏ ‏ ‏ يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها ‏ ‏ ‏ ‏ لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنَّها ضاقت عليَّ برحبها ‏ ‏ ‏ ‏ لما رايتُ بها الزمان تنكرَّا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني :

تتحيَّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ ‏ ‏ ‏ ‏ في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنهُ في قربهِ من فهمهم ‏ ‏ ‏ ‏ ونكولهم في العجز عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ونأى عن الايدي جنَى مقطوفهِ

وقال مستغفرًا وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ :

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي ‏ ‏ ‏ ‏ هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وستغلبنْ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود . وكان اولادهُ اغصانًا نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم . واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة لسانهِ وخلابة اقوالهِ في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيَّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمرهُ نحو ثلث وستين سنة

اما عبد الحميد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيَّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدَّمتهم عليّ رضا باشا والي بغداد وله بعض مصنَّفات نثريَّة بليغة وقصائد غرَّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اولها:

تنوح حماماتُ اللوى وانوحُ وأكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتُعجم ان رامت أداء مرامها ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التنائي قريرةٌ ولي مدمع يوم الفراقِ سفوحُ

الى ان قال مادحًا:

فتى كلّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفَّةٌ وعن زلَّة الشاني الحسودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ سموحٌ وذو الشان الجليل سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريهِ عارفٌ مأنّى يجاري العاديات جموحُ
يفوح بأفواه المدى نشر فضلهِ كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطَّر الارجاء منك فضائلٌ فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق، تحمَّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ، فأزالوا بأنوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيَّة، وتحمَّلوا اذا اذاقهم الورى مرَّ المراء والشقاق، فاماط بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقابهم ربق العلائق النفسانيَّة، أعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الأُخرى حيث علموا بأنَّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية. فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام، لمَّا أنْ حلا لهم شرب صافي المدام . . . فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر، ورضوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكيَّ انفسهم عز انفس جواهرها واعراضها، ترفَّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى، لانَّها الركن الاوفى والسبب الاقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها . . .

وكانت ولادة السيّد عبد الحميد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من أُسرة فاضلة اصلها من سرَّ من رأى او سامرَّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها. منهم الشيخ ابو البركات عبد الله السويديّ صاحب المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة

والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق. وكتاب كشف الطرَّة عن الغرَّة وهو شرح على درَّة الغوَّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الَّا انهُ غاية في الرقَّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ	وتغدو عيوني من مسرَّتها عَبرى
والثمُ اخفافًا وطئنَ ترابهُ	واكحل اجفانًا بتربتهِ العَطرى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكبًا	تمرُّ اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوبها	أداوي بها يا ميُّ مُهجتيَ الحرَّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرَّت بها ريحُ الصبا	حملت من الارجاء مسكًا أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها	يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها	لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنَّها ضاقت عليَّ برحبها	لما رايتُ بها الزمان تنكرًا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيَّرُ الشعراءُ ان سمعوا بهِ	في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنَّهُ في قربهِ من فهمهم	ونكولهم في العجز عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ	ونأى عن الايدي جَنى مقطوفهِ

وقال مستغفرًا وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي	هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ	وستغلبنَّ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصانًا نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم. واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة لسانهِ وخلابة اقوالهِ في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيَّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمرهُ نحو ثلث وستين سنة

امّا عبد الحميد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدَّمتهم عليّ رضا باشا والي بغداد ولهُ بعض مصنَّفات نثريَّة بليغة وقصائد غرَّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اوّلها:

تنوح حماماتُ اللوى وانوحُ ... واكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتعجم ان رامت أداء مرامها ... ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التنائي قريرةٌ ... ولي مدمع يوم الفراقِ سفوحُ

الى ان قال مادحًا:

فتى كلّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفّةٌ ... وعن زلّة الشاني الحسودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ ... سموحٌ وذو الشانِ الجليل سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريهِ عارفٌ ... وانّى يجاري العاديات جموحُ
يفوح بأفواه المدى نشر فضلهِ ... كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطّر الارجاء منك فضائلٌ ... فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق، تحمَّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ، فأزالوا بأنوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيَّة، وتحمّلوا اذا اذاقهم الورى مرَّ المراء والشقاق، فاماط بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقابهم ربق العلائق النفسانيَّة، أعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الأخرى حيث علموا بأنَّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية. فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام، لمّا أنْ حلا لهم شرب صافي المدام. . . فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر، ورضُوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكيَّ انفسهم عز انفس جواهرها واعراضها، ترفَّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى، لانّها الركن الاوفى والسبب الاقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها . . .

وكانت ولادة السيّد عبدُ الحميد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من أُسرة فاضلة اصلها من سرَّ من رأى او سامرَّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها. منهم الشيخ ابو البركات عبد الله السويديّ صاحب المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة

والرحلة المكيَّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) . ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينية واللسانيَّة . ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فارَّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقولهِ من ابيات :

وفارقَنا فردًا فقلتُ مؤرخًا ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردَّ على المُلحدين بكتاب سمَّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة . توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠ — ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد وقد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ :

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ انَّ المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضًا الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد لهُ مؤلفات جليلة في عدَّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠ : ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت . وكتاب ردّ على الرافضة . ورسالة في الواجب والممكن . ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف . كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) . واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمَّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالاداب العربيَّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمَّة . وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثارًا من علمهم طبعًا او خطًّا على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمَّد عبد الله بن محمَّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ . ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلبًا للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأَحساء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ

وذيّل شرح الفاكهي على قطر الندى لابن هشام ٠ وله نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

ألا حيِّ بيتوشًا واكنافَهـا التي يكاد يروّي الصاديات سرابُهـا
بلادٌ بهـا حلَّ الشبـابُ تمائمي واوّل ارضٍ مسَّ جلدي ترابُها
لقد كان لي منها عرينٌ وكان من مقامي لها سُحبٌ سَكوبٌ ربابُها
ولم تَنْبُ لي إنْ يَنْبُ يوماً باهلهِ مكانٌ ولم ينعقْ عليَّ غرابُهـا

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨)٠ وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنـا مع بقيَّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيرًا الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيـهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسمَّاهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤٠ ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهريَّة ومغني اللبيب٠ ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة المسامرة وقرَّة الناظر٠ونسمـات السحر وروضة الفكر٠ وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها٠ توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده ٠ ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّـة لكنهُ ذمّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال :

كان لا يدري مداراة الورى ومـداراةُ الورى امرٌ مهمْ

وروى لهُ شعرًا حسناً منهُ :

لئن لم تشاهدني أخافِش أعينٍ فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا كفـانيَ عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها واين زلالٌ من سراب بقيعـةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ لفضلٍ وافضـالٍ فحيٌّ كميتِ

وقوله :

وزمـانٍ عدت على لياليْـهِ وقصتني قوادمي وجنـاحي

ودعتني صروفهُ في شتاتٍ وعناء وخيبةٍ ونزاحِ
لا لذنبٍ اتيتهُ غير انَّ الـفضل لم نافةٌ قرين نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧م) وانشد قبل وفاتهِ :

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم أكن ابصرتُ عارفَ حقهِ فيبينُ
ومن العلوم الغامضاتِ ورمزها أملي قضيتُ وللفنون ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحميد الموصلي) هو عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبَّاغ احد شعراء العراق الذين شرَّفوا تلك الاصقاع بآدابهم وشعرهُ رقيق لكنهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان . فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخاً للسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخاً هجريّاً هذا مطلعهُ :

بعثنا اليكم بنتَ رمزٍ من الفكرِ دهاها جوًى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
أأنتم صروع الدهر من قيد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامةٍ الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الربّ باباً فأرّخوا هو الله لا ما زلَّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظماً ونثراً افتتحها بقولهِ :

عشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ معشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنَّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحميد يمدح الشيخ ناصيف البازجيّ من قصيدةٍ :

كبش الكتائب والكتاب وانهُ بالنحر ينطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فلمنْ تمنطق بالفصاحة وارتدى جلبابَ علم النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجرية والمسيحيَّة (١٢٦٤ — ١٨٤٨) :

لا زال محفوفاً بحظٍ وافرٍ والخطُّ مثل الظّ بالتصحيفِ
فيهِ صفا عبد الحميد مؤرخاً ناهيتُ نظمي في مديحِ نصيفِ

ولهُ مخمساً لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملاً كقصيدة الشيخ :

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواءهم اساودها صلالُ
أحاول طَولهم وهو المحالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها : مرور العسر مرّ مرَ كلَّ حالِ وامرُ الله دمّر كلَّ حالِ
سرورك والهموم دِلاءُ دالِ كرورُ الدهر حوّل كلّ حالِ
هو الدهرُ الدوام لهُ محالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلَّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظرُ البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أَحَبُّ شيء لعيني حين اذكرهُ دمعٌ واطيب شيء عندها السهر
هذا الصديق الذي كانت مودّتهُ كالكوثر العذب لا يغتالها كدرُ
لا غرو أنْ احزنَ الزوراءَ مصرعهُ فحزنهُ فوق ابنانٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرّظها السيد شهاب الدين العلويّ بابيات منها :

وافت فمرّت بتأساءٍ وتعزيةٍ عليها يحسد الاحياءُ مَنْ قُبروا

وارّخها بقولهِ :

أسديتَ سلوة محزونٍ مؤرّخةً اسدى رثاءٍ بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصريّ ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثمَّ ارتحل منها الى الزبّارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) ثمَّ استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) . واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان

شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوَّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهَّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦):

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ وآلاء تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيهِ اضحتْ رياضُ القلب مخضرًّا رباها
وطاب العيشُ وانكشفتْ همومٌ كذاك النفس منتفياً عناها
فيا من قد مَننتَ بغير منٍّ بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدِمني فيهِ مسرورًا دواماً وفيهِ العينُ قرَّ بها كراها
ووَفِّقْهُ لِما ترضى وجنِّبْ هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرَّختُ لابني بطلعتهِ بشيرِ السعد باها

وقال عن لسان فقير من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتاً يرتزق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ وهمَّةٍ بلغتْ هامَ السماك عُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمَهُ نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انَّا قصدناك والآمالُ واثقة بانَّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظماء وحسنُ الظنّ اوردنا الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَور العُداة وما اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وعُزْبَةُ دارٍ ثم مسكنة وذلَّةٌ وفراق قاتلٌ وبَلا
نشكو الى الله هذا الحال ثم الى ندبٍ جوادٍ يفيد القاصدَ الأملا
عسى نصادف من حسناك مرحمةً تكون رفدًا لنا اذ نقطعُ السبلا
واغنم بذلك منَّا خيرَ أدعيةٍ يزفُّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميلًا كلَّ ذي املٍ في رفعةٍ ونعيمٍ دام متَّصلا

ولهُ يذمُّ الغيظ:

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بها الفتى فاذا استطعتَ لهُ دفاعاً فاجهدِ
منها حجاب الذهن عن ادراكهِ امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنهُ ممَّا بهِ المعتوه او كالأَبلهِ
وبه الحليم الى الجهالة صائرٌ ويحِدُ عنهُ بهِ منارَ السؤدُدِ
وبهِ تسيء لدى الورى اخلاقهُ حتى يُقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحة ويرى النَّصوح كعائبٍ ومفنِّدِ
من حبَّ طبَّ بما تناولَ علمهُ واخو النباهة يقتدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميمي ورَوينا ابياتاً من قصيدتهِ في مدح الشاعر النصرانيّ فراجعها

(الشيخ عبد الفتّاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبيّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من اكمل الادباء . صنّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخه الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاهُ حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيّة ومسائل علميّة . توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ م) . واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث . ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيّد عبد الفتاح السلفيّ) هو الشيخ محمّد امين الشهير بالواعظ . كان ذا خبرة تامّة بالمسائل الشرعيّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب . وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرّس مدّة في المدرسة الخاقونيّة . وصنّف عدّة مصنّفات كمنهاج الابرار . ونظم التوضيح . وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيّد محمود الالوسيّ مخمسًا :

يا سائلي عن بحر علمٍ قد طما ٭ بعلومهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صف لي من نداك توسّما ٭ انَّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أوْجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا ٭ والمشتري برحابهِ متعاقدًا
لا تنكرنْ لأُنسهِ يا جاحدًا ٭ ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أوْجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ :

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما ٭ بقبرٍ ثوى فيهِ الامين محمّد

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلم في بغداد العلوم اللسانيّة ووضع فيها بعض المصنّفات فلما توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيّد محمد وقُلد عدّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم انفصل وبقي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧ م) وتآليفهُ منها نحويّة ومنها شرعية . وصفهُ السيّد نعمان افندي الالوسيّ بقولهِ : « انهُ كان ذا تقوى وديانة وعفّة وصيانة لا يغتابُ احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا

وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام . . . وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل » . ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقولهِ :

في رحمة الله حلّ شيخٌ وجنَّةٌ دارها الخلودُ
تفيضُ من صدرهِ علومٌ وقد طمى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميتًا وحيًّا من علمهِ الناسُ نستفيدُ
سار الى ربهِ غير فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّهِ سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليهِ رئاسة الشعر والادب في وطنهِ . تغذّى منذ صغرهِ لبان العلم . وانتدبتهُ الحكومة السنية وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرافق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبتهِ اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهنيَّة الى قبيلتي الزكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايتهِ وعاد الى بغداد مقرونًا باليمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليَّة . ثمَّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى . وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبرهِ :

بلسانٍ يوحّدُ اللهَ أرّخْ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امَّا تآليفهُ فكلُّها ناطقة بفضلهِ رتوقّد فهمهِ منها ديوان اهلّة الافكار في مغاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر . ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طبع مرَّة بمطبعة حسن احمد الطوخيّ سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابه وتكملتهِ سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة . وها نحن نذكر بعض نتفٍ من شعرهِ تنويهًا بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرخ جاوس السلطان عبد العزيز واجاد :

للتِلغراف الفضلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ

قد أحرزتْ مِلّتكمْ ارّخوا عزًّا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنّ ضوءَ البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموج في اثنائهِ منهُ العبابُ يخفقُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليّة لحصن سيواستپول مع الدولتين الفرنسويّة والانكليزيّة:

اقول للدُّول المنصورِ عسكرُها لا زال عسكرها بالله منصورا
لمّا اتّفقتم على صدق المحبّة في ما بينكم واتحدتم صرتمُ شورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً دمّرتمُ محصّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطّتِ الدنيا غمائمُها فغادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهُها دلعتْ للنار ألسنةً فقرّرت درسَ ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من سدًى ولظًى ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
ومن فازّاتها غيثٌ تراكمهُ يسحّ منتظمًا طورًا ومنثورا
أقلُّهم فرّ لمّا قرّ اكثرهم لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنّى على هاماتهم طربًا حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوَستبول التي اعيتْ معاقلُها سخّرتم حصنها أرّختُ تسخيرا

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الحكيم الفارابي:

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغ لنفسك ما ترقّيها بهِ (والجسمَ دَعهُ في الحضيض الأسفلِ)
(اتكمّل الفاني وتترك باقيًا) تكميلُهُ أولى بحقّ الاكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ (هملًا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسم للنفس النفيسة آلةٌ) تقضي المرامَ بها إذا لم تكسلِ
ولكم عليها من حقوقٍ للعلا (ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتبقى دائمًا في غبطةٍ) ان فارقتْهُ ودولة لم تنقلِ
وسعادةٌ ابديةٌ لا تنقضي (او شقوةٌ وندامةٌ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدمتَهُ) وأحلتَ حكم معزّزٍ لمذلّلِ
وجعلتَ من هو فوقَهُ من دونهِ (أتُملّك المفضولَ رقّ الافضلِ)
(شركٌ كثيفٌ انتَ في حبلاتهِ) قيد الحياة اسيرُ قيدٍ مثقلِ

منهُ وانت بهِ بأيَّةِ حيلةٍ (ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزلٍ) متدرّجاً فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريّا تحت أخمص رجلهِ (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد لا تُحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمَّن الطُّرَف المستطرفة. ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اوَّلها:

غُرَرٌ أم دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتتْني تتقاضى دَيْنَها فوفتْ للمجد عني كلَّ دَيْنْ
بمراياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين عقلي كل غَيْنْ
وتجلّت صُور العلم بها فجلت عن كل قلبٍ كلَّ رَيْنْ
وعلى الاحسان والحسن معًا طُبعت والطبع مشغوفٌ بذَيْنْ
رحتُ من راحةِ معناها ومن روح مبناها حليفٌ النشأتَيْنْ
يا لسِفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيْهِ سفورَ النيّرَيْنْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفتَيْنْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيَّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفُ كأنَّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حبرٌ حلا في حبرهِ قرطاسهُ كالتبر لمَّا لاح فوقَ ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماءً زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام فلم أقم بالواجبِ
وبمدحهِ العُمَريُّ آبَ مؤرخاً ترتيب مدحي في نصيفِ الكاتبِ

فقال الشيخ نصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً وكلاهما للنفسِ اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفَّقاً من رازقٍ مَن شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذه رسول لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

هذا وقد اشرنا سابقاً الى قصيدتهِ الخاليَّة التي عارض بها خالية بطرس كرامة تجدها في ديوانهِ (ص ٢٤٢—٢٤٣ من الطبعة الجديدة) فدارت بسببها المراسلات بين الشاعرين. وقد هنَّأهُ بطرس كرامة برتبتهِ الكتخداويَّة بقصيدة مطوَّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا دُرَر البُحور نُظِمنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائدًا من شعرهِ العُمَريُّ عبد الباقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممَّن لم نعلم من احوالهم الَّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمَّةً للفائدة فمنهم (الشيخ يحيى المروزيّ العمَّادي) اصلهُ من العمَّاديَّة من قرى الاكراد قرب الموصل برَّز في التدريس وصار عليهِ المعوَّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهدهِ وعلوّ نفسهِ وخصَّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليَّ ثياب لو يُباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ اكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع بمثلها نفوسُ الورى كانت اعزَّ واكبرا

توفي الشيخ العمَّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤). ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن:

ومهما ذكرنا الحيَّ من آل مقرنٍ تهلَّل وجهُ الفخرِ وابتسم المجدُ
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا فهم للعدى حتفٌ وهم للهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ومعشر صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل. ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربية واتَّسع في سائر العلوم. ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطَّار حتى فوَّض اليهِ رضا باشا افتاء الحنفيَّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) ولهُ شعر طيب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشر مجالسهم عاف الكريمُ حلولها

وابقى وحيدًا لا ارى ذا مودَّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ ملولها
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلًا اذا كان مفريّ الاديم نزيلُها
فما منزل فيهِ الدعاء بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمَّد الاخفش) هو محمَّد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلَّامة الالوسيّ وشرح الالفيَّة في النحو للامـــام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيـخ جمال الدين الكوَّاز كان اصلـهُ من الحلَّة ويرتزق بحرفـة الكوازة الَّا انهُ كان مشغوفًا بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة. ولهُ شعر كلهُ في الغزليَّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلَّة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البندنيجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البندنيجي اصلهُ من بندنيج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانية والفقهيَّة والادبيَّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرَّس زمنًا في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مَن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انَّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أُدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمَّ تفرَّغ لدرس اللغة الفرنسويَّة والعلوم الرياضية والطبيعيَّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيَّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمَّ اتَّخذه باي تونس كرئيس الكتَّاب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسـة لغاتها الشرقيَّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسمًا من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمَّ طبعهما على حدة. وممَّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمَّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر المسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمَّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها «بالقول المحقَّق في تحريم البنّ المحرق». وعرَّب الاصول النحويَّة

للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond) . وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيَّات والظواهر الجويَّة لخَّصهُ عن كتب الفرنج وسمَّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في باريس . ولا نعرف تاريخ وفاة الحرائري ولعلَّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الَّا انَّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمَّد التونسيّ) هو محمَّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرَّج على شيوخ الازهر في مصر ثمَّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ : كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان وقد طُبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمَّة المستشرق الفرنسوي پارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيَّلها بالحواشي . ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها . توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبَّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبَّادو الشريف . كلف باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً . وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئًا ممَّا سمعهُ . قيل انهُ سمع يومًا رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها . وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برَّز في الشعر وكان يقولهُ بديهيًّا . ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ — ١٢٩٦) . توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) . وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات . وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالَّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها :

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ومطمح همَّتي نخوًا وكِبرا
وجُود يدي واقدامي وبأسي ولا اعيي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي وتصلبُ ان يَرُم ذو الغمز هَصْرا
واني لا اَعدُّ الوفرَ ذُخرًا ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرًا
وما كلُّ الخلال تُذاع بأوًا ولا كلُّ المذاع يصحُّ سبرا
وفي التجريب ما ينفي ارتيابًا ويصدقُ سنُّ بكرٍ منهُ فرًّا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوَّلهُ :

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهانت عندك الأخبارُ خُبرَا
ولو اشرفتِ في جنحٍ عليهِ (وقد لاقى الهزَبرُ اخاكِ بشرا)
(اذًا لرايتِ ليثًا رام ليثًا) وكلٌّ منهما باخيهِ مُغرى
يرى كلٌّ على ثقةٍ اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(تبهنس اذ تقاعس عنهُ مهري) واقبل نحوهُ أُذنيهِ ذعرا
فكاد يريبهُ فيخال مني (محاذرةً فقلتُ عُقِرتَ مهرا) . . .

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمَّنها عددًا وافرًا من التواريخ وتفنَّن فيها على طرائق عجيبة . ومن مديحهِ قولهُ في الكُنت رشيد :

فيا مخبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طبق وَسْمك مرشدًا بهيًا من كل الامور لك الرشدُ

أُدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيَّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلّع) هو جبرائيل بن يوسف المخلع ولد في دمشق في اوائل القرن الثامن عشر وتفقَّه في العلوم العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة ثمَّ سافر الى مصر وبقي فيها مدَّة يتنقَّل في دواوين الانشاء في الاسكندريَّة ثمَّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١ . ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمَّى الجلستان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي . عرَّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر المسجَّع المنسجم ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق . وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤) :

(حكاية) نظرتُ اعرابيًا في حلقة الجوهرية بالبصرة ، وهو يقول : اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة ، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الجواز ، ولم يبقَ معي من مؤنة الزاد ولا المجاز ، فايقنت بالهلاك ، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك ، فبينا انا في البيداء اتلظَّى الضرّ ، واذا بي وجدتُ كيسًا مملتئًا بالدرّ ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرة ، اذ توهمت ان اجد قمحًا مقليًا في تلك الصرَّة ، فلمَّا تحقَّقتُ فيهِ وعاينتُ الدرّ والماس ، دهشتُ من الغمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيدِ او حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني الماسُ والصَّدَفُ
العادم الزاد اذ تهوي بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما ٬ وقد علا عليهِ حرُّ البادية وحمى :

يا ليت قبل منيَّتي يوماً افوزُ بمُنيتي
نهرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قُربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار ٬ ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتدار ٬ ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق ٬ ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ٬ فهلك بالمشقة ٬ وبعد الشقَّة ٬ فرَّ عليهِ طائفة من الناس ٬ فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس · وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضار الجعفريّ لمن خلا عن الزادِ لا يغنيهِ شيئًا من الضرّ
ومن يحترق في القفر فقرًا فانهُ لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ام لاح لي روضُ ازهار وانوارِ
كلَّا بل الألمعيُّ اللوذعيُّ بدا منهُ بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جلستانَ البديعةُ في ما صاغَ من عربيّ اللفظِ للداري
لا غروَ أن جاء جبريلُ الكريمُ بما مقروُهُ حيثُ يتلى يعجب القاري
معرّبٌ عبَّرت عنهُ براعتهُ عبارةٌ اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سمطهِ نُظمت نظمًا بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجًا أرَّختُ ازهى بهيجٌ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويَّة والايطالية · وكان مارون مع سعة علمهِ فاضلًا تقيًّا متشبِّثًا بالدين مثابرًا على تعاليمهِ وقد جعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها · ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد · وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا المحامي الشهير قسمًا من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفَّل والحسود احذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيَّة · وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلَّة من يُراعون فيها الآداب الصالحة · ثمَّ سافر مارون

النقّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ:

بدرٌ هوى لا بل ذوى غصنٌ وذا مرقدهُ
نقّاشُ علمٍ سيّد الاسلام ارتضى يسعدهُ
يا رحمة المولى على مارونـا تعضدهُ
ويصبُّ هاطل غيثها أرّخ وتغمدهُ

ثم نقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ:

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولّاهُ الخسوف لـذا ها قد أرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقًا للشيخ ناصيف اليازجي يتنـاوبان على الرسالات الوديّة الادبيّة منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اولها:

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل هيهات لا يجـدي وقوفك فارحلِ

قال فيها:

يا ايهـا النحريرُ جهبـذُ عصرهِ ـا لي ابثُّك علمَ مـا لم تجهـلِ
انّ المقدّم الحكيمِ افادة كـتقدّمٍ للشمسِ ضوءَ المشعـلِ
بعُـدَ المزارُ على مشوقٍ لم يكُن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ:

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلّةٍ فابْعَث اليَّ بلهنةٍ المتعـلـلِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ:

وردتْ اليَّ من المقـام الافضلِ غرثى الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال:

يا من اذا سمح الزمـان بنعمةٍ ابقاك نورًا في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضـا يُرجى لهم بدلٌ سواك فلست بالمُستَبـدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همّـةً حتى عجزتُ فقد يحقُّ العُذرُ لي
انَّ الضعيف مقيَّدًا بلسانهِ مثلُ الاسير مقيّـدًا بالارجلِ

فلمّا نُعي الى الشيخ صديقـهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة:

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ من القلوبِ وعاش الحُزن والضَرَمُ

قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ فحبَّذا اليوم ذاك البعد والقدَمُ

ومنها :

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً وايُّ عيبٍ تراه فيك يُتَّهمُ
فيك التُّقى والتقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاشُ بردتهِ والشعرُ يرثيك حتى تنفد الكلمُ
تبكي عليك القوافي والمحابر والا أقلام والصحفُ والآراء والهممُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها :

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخير في طاعة الرحمانُ تُختتمُ

وقال في المرثاة الثانية :

لا تجزعيْ يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّما تزدادُ سوءًا كلَّما طال المدى

ومنها :

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصُّ المنيَّة خاطفًا متمرّدا

وختمها بهذا التاريخ :

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعدُ طراد بقصيدة طنَّانة اوَّلها :

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أما تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ :

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش ما خلا رواياتهِ قصائد متفرقة وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسمًا منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيتٌ في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئةٍ رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها :

لسعد سعودِ مَن سلفوا حدودُ وسعدُ سعيدِ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفاً بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالًا ومهما ازداد مدحاً لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ :

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا لانني قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ وانا تلميذ ذيّاك العلمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيُّ الهممْ
قد كساني ثوب تعليم بما فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشا ولم انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢ :

انّي هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل أن أتمّ فهكذا ربيّ امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في النعيم كما القمرْ
وكما روى النقّاش نقش تأرُّخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسيّ انطاكيةٍ عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدّتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله اذاك المرتضي خلفاً ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣ . كان رجلًا هماماً محبًا للآداب منذ نعومة اظفارهِ فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطبّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبيّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليّة ودرس على اساتذتها

المتطببين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيَّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اوَّل للعساكر الشاهانيَّة في مارستان بيروت العسكريّ . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديَّة الاحباب وهداية الطلَّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيَّة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيَّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمَّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري فقرَّظه مفتي زاده السيد محمَّد مفتي بيروت بقولهِ :

جزا الله المؤلف كلّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
امصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقًا (المشرق ٤ : ٤٧٣) . وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد :

ملكٌ اضا على الانام ببهجةٍ احيا الزمان بها فمات الحُسَّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحدُ
دانت لباب جلالهِ أمم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السدادُ لحزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يُجرَّدُ
فاذا الخطوبُ تجمعت فاتاوا لها عبد المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوَّر في الدجنَّة ذاتهُ لاح الصباح ونورهُ يتوقَّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ :

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتَّسعا • كالماء طال عليهِ الورد فانقطعا

ومنها :

قد كان في طبهِ للناسِ منفعةٌ فاذ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل • يبري جراح فؤادٍ بعدهُ انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسمًا يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلبًا فانحطّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها

من القرن السادس عشر · درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدَّة ثمَّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضيًا على النصارى في لبنان. وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخيَّة. وكان كلفًا بتاريخ لبنان فصنَّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيَّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمَّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدَّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدَّمة. وهو ادقُّ واضبط ما وضع الى يومنا لاسيا في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعدهُ في تهذيبهِ وتنقيحهِ ونفقات طبعهِ المعلم بطرس البستاني · وكان نجازهُ سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات. وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجردهِ عن الاغراض كما قال:

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ وميْنٍ بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديدًا مفيدًا ما لهُ في النفع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس. ومما يُذكر من آثاره ايضًا انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميَّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم العوراء) هو ابن المعلم حنا العوراء الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ ولد في عكَّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرَّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمَّد باشا الجزَّار ثمَّ في ديوان خلفه سليمان باشا. فبرع حنا في الكتابة وضُمَّ الى كتَّاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخالهِ ابراهيم نحَّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م). وكان مغرمًا بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمَّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمَّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايَّام الجزَّار ولاسيا في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذبهُ حتى اتمَّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيرهِ روى اكثرها عن ادباء عصرهِ وعن معرفتهِ الخاصة ممَّا عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ. توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبرهِ:

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. IX : 269).

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا لفقد ذخرٍ لكم بالامس قد فُقِدا
من فوقهِ احرف التاريخِ ناطقةٌ في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدَّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويَّة. وقد مرَّ لهُ في المشرق (٨: ٧٧٣: ٨٤٧ الخ) ترجمة مطوَّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام. هو ناصيف بن الياس بن حنا المعلوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوهُ الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء العازاريين واتقن اللغات التركيَّة واليونانيَّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبُّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عُرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريَّة. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جُمعت في كرَّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِف عند تُربة يوسف الجَلَخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزًا أرِّخ برحمةِ ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعى الدحداح (١٧٨٢-١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء

وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن تهيَّا في السماء لهُ قصرُ
واولى بني الدحداح حزنًا مخلَّدًا يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثاتِ بنفسهِ فتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور

(الفرنسويين) بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عمومًا والعربيَّة خصوصًا للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليهِ في سياق تاريخنا للآداب العربيَّة. وكان تلامذة العلَّامة دي ساسي عشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة ويستخرجون من اغوارها اللآلىء الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يومًا بعد آخر ثمنًا وفخرًا وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرّقة لم تُجمَع في سفر خاصّ

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابهِ الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ. وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة علميَّة وكلت فرنسة نظارتها الى فرنيل لما عهدت فيهِ من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلَّف فرينل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفري ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليَّة ولهُ ايضاً مقالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّة التي وُجدت في جهات اليمن

واشهر منهُ رجلٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلامة دي ساسي نريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً. وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنِهِ في العلوم الشرقيَّة على دي ساسي المومأ اليهِ . واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العموميّة ومخطوطاتها الثمينة ثمَّ تولّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنِهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتَّى أَضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقية الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لأَنَّهُ خلّف بعدهُ نيفًا ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقية وكلّ اللغات الساميّة وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنَّفات كنوزًا من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين . اما تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمتهُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريّة وتأليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متَّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرّخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آية في حسن الطبع . وقد أَلَّف كتبًا عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجمل القول لم يدع فنًا الَّا صنَّف فيهِ كتبًا تُعدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيَّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيَّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور . وتوفي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعًا في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علّق عليها الحواشي وترجمها . وقد صنَّف كتابًا في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي فرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدَّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلّمهِ دي پرسفال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول . وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ڤرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايّار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ . وكان احد حفَظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيَة ثمَّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ . وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية . واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويَّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيّنهُ بالمقدَّمات الاثيرة والحواشي . ولهُ ما خلا ذلك عدَّة مقالات لغويَّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبئ بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفّي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) وُلد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرَّج بالآداب العبرانية على بعض الربَّانيين في بلدهِ ثمَّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلّم العربيَّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوَّل مدَّة في القطر المصري مع الوزير كريميو . ثمَّ تفرَّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانية . وقد أُصيب في آخر عمره ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة . ولهُ عدَّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخص منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتاباتٍ شتَّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنَّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويَّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في

فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويَّة مقامات الحريري . ومن مصنَّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنه فخلفهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذتهِ . ومن ثمار اجتهادهِ عدَّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفهِ شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض ولهُ ابحاث في اللغة العاميَّة ومجاميع عربيَّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمهِ . ومن آثارهِ ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربية معلّم آخر وهو المعلّم كُنباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدَّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربيـة في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاته

وكذلك عُرف من المستشرقين العلامة بيبرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في پولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصُّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويَّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعته الباريزيَّة في مجلّدين ضخمين . وقد نقل المصحف الى الفرنسويَّة وترجمتهُ معروفة بدقّتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاتهِ من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثره العربيـة المسيو پارُّون (A. Perron) نشر تآليف جمَّة ونقلها الى الفرنسويَّة ففي سنة ١٨٣٢ أَلَّف كتاباً في أُصول اللغة العربيَّة وطبعهُ على الحجر ثمَّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغتهِ ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمَّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلّدين وكتاب ميزان الخضريَّة للشعرانيّ في الفقـه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلَّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلَّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كايان موّله (J. J. Clément - Mullet) الذي ادَّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمتهُ الفرنسويَّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريَّا يحيي الاشبيلي المعروف بابن العوَّام · وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موّله في مجلَّدين وعلَّق عليهِ التعليقات الخطيرة · ولهُ ايضاً في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة مقالات متَّسعة في المواليد الطبيعيَّة عند العرب واصطلاحاتهم · توفي المسيو موّله سنة ١٨٧٠

(الالمانيُّون) تقدَّمت الدروس العربيَّة في المانية في هذه المدَّة بهمَّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيهِ جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالًا للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيَّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر الآثر العربيَّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلَّدات ضخمة اتمهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمَّ اختصر ذلك المعجم · وقد نشر لاوَّل مرَّة كتاب حماسة ابي تمَّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية · ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه · وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشَّاها بالحواشي المفيدة · ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلَّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال · ولهُ كتابٌ واسع في فنّ العروض بالالمانيَّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلَّدوا لهم ذكراً طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في بروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمَّ تعشَّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيـة ثمَّ درس التركية والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشرَ في بلده منها طرفًا استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغـات الشرقية في غريسڤالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمَّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلَّدًا من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدَّمات والشروح ونشر ايضًا مجلَّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتهما وطبع معلَّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همَّةً ونشاطاً واتّساعًا في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيَّـة ثمَّ سافر الى ڤينَّا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتها الشهيرة وتجوَّل بعدئذٍ في عواصم اوربَّة الى ان احتـل باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمَّ عاد الى بلادهِ فتولَّى التدريس في معاهدها العلمية مدَّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّدًا منها كتاب كشف الظنون للحاج خلفا في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسهـا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينَّا العربية في ثلاثة مجلَّدات ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو فهرس للقرآن بديع في بابهِ ولهُ تآليف في فلاسفة العرب ونُحاتهم ونَقَلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخًا موسَّعاً للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات مَّما يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعـد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلًا . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برَّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريَّة الالمانيُّ فرانتس وابك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبـة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرغ ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ بابًا لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصَّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطّقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلّات العلمية في برلين ورومية وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعاق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادَّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضًا بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنَّف كتابًا في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلّي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدَّة مطبوعات . توفي برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن . وقد برَّز فولرس خصوصًا في اللغة الفارسية فنشر معجمًا فارسيًّا لاتينيًّا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدَّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم . وكان عالمًا باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليهما ونقلهما الى اللاتينية وصنّف ايضًا كتابًا في اصول لغة العرب

ومنهم ايضًا فرنتس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدَّدوا طبعها بهمّة استيفان اثناسياديس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذَّيلها بالشروح . ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتسشتين (J. G. Wetzstein) أقام مُدَّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيَّة وجمع عدَّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران و بادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدَّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيَّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درّس اللغات الشرقيَّة في كلية فريبورغ الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكرًا طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اول من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيَّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيَّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيَّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيَّة العاميَّة . وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيَّة و بيَّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج الببغاء

ومنهم اخيرًا تيودور هاربروكر (Th. Haarbrücker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيَّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيَّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمَّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربيَّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الربّي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويّون) لم يبلغ النمسويّون في درس العلوم الشرقيَّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلُّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر پورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية ڤينَّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنهِ ان يتكلّم بالعربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة

ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة. فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألَّف عددًا لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتغلَّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيَّة في ١٨ مجلدًا . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلَّدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسية ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم. وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أيُّها الولد » للغزَّالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في وسيقى العرب ونشر قصصًا لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضًا تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلّات الشرقيَّة فاصبح في بلاده محورًا للاداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألَّف كتابًا في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعَدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الاداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديُّون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقيَّة عمومًا والعربيَّة خصوصًا . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صدده

اشهرهم ثاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعًا باللغة العربيَّة متقنًا لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية . ونشر ايضًا كتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري وسفر يشوع بن نون عن النسخة السامريَّة ونقلهُ الى اللاتينية . وكذلك نشر كتاب مراصد الاطّلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتّس (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعًا

دعوه بالشرقيَّات (Orientalia) ومن مآثرهِ ايضًا مقالة في الترجمة العربية السامريَّة المحفوظة في مخطوطات باريس . وكان لجوينبول ابن تقفّى خطوات والدهِ فاشتهر ايضًا بعلومهِ الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعدهُ نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقلهُ الى اللاتينية وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبيّ

ومن معاصري جوينبول الأستاذ تاكو روردا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمَّة والثبات . باشر سنة ١٨٢٥ منشوراتهِ الشرقية بدرس اخبار ابي العبَّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألَّف كتابًا في قواعد العربيَّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم . وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاتهِ الشرقية المارّ ذكرها . توفي روردا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضًا هندريك ڤايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفًا ثمَّ اتَّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيهِ الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الادبية . ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالاداب العربيَّة . اخصّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليَّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامهِ باللغة السريانيَّة وآدابها . وقد خدم الآداب العربيَّة ببعض المصنَّفات الدينيَّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح الرشد ليحيى بن حزير (ويروى جرير) التكريتي . ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ . وكان طبع قبل ذلكُ عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفيّ وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولَّت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية (Society for the Publication Oriental Textes) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً . ومما كانت نشرته رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٩) وبهمّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوَّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسّو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربيَّة فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكتّا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أُخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة الهنديَّة . فلمّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشّاف اصطلاحات الفنون لمحمّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيّا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشّط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيّا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن وللمعلّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطير في آثار الاداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلّة بطرسبرج العلمية — واهتمّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصّرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقيّة في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى. كان يعرف اللغات التتريّة والفارسيّة والعربيّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيّات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخيّة في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزيّة

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولا سيّما العربيّة لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيّهم كاينكوس (Pasc. de Gayangos) الذي نشر في لندن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنها وصف قصر الحمراء مع بيان آثارهِ وتفسير كتاباتهِ الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليّون) فانّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصراً في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمَّ الّا الكردينال العظيم انجلو ماي (A. Maï) الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعية في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت لهُ ذكرًا في العالم كلّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes). واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية. وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجدهُ من الآثار النصرانية واثبتهـا في مجموع مطبوعاتهِ . توفي الكردينـال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً فمهد الطريق لابحاث رينان الاثريَّة . توفي الاب بوركنود في ١ تشرين الاول من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب لويس فنيك (+ ١٨٦٨) والاب بولس ريكادونَّا (+ ١٨٦٣) أَلَّفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقويَّة

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوَّل في انحاء الشام ونظَّم احوال الجمعية الاميركية ووسَّع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقـدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Salisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافيـة وعادات ووصف اديان نشراها في المجلَّة الشرقية الاميركانيـة (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلّات التي تقدَّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورهـا الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي جمعناهُ في كتاب مستقلّ والحقناهُ بفهرس الأدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

*

فهرس

للجزء الاوَّل من كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

١ الادباء المسلمون

٢ الادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

اسماء المستشرقين بالافرنسية

TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 1re partie de l'ouvrage.

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في الكتاب

بعض اصلاحات

الصفحة ٤ س ٤ (جرجس شهاب واخوه) اشتهرا عند اولاد الامير يوسف وهم الامراء حسين وسعد الدين وسليم الذين كانوا يزاحمون الامير بشير في الحكم . اما الذين اشتهروا عند الامير بشير فهم الشيخ سلوم الدحداح وابنهُ الشيخ منصور ثم الشاعر بطرس كرامه

ص٥ س١٧ (يوسف اسطفان) انشأ مدرسة عين ورقة قبل ان يصير بطريركاً

ص٧ س٢٣ (الرهبانيَّة الدومنيكية) والصواب ان ريمند لول كان من الرهبانيَّة الفرنسيسية

ص١٠ س١ (من الفرنسويين) والصواب «من غير الفرنسويين»

ص١٤ س١٨ (ابن اخيهِ) السلطان مصطفى الرابع هو ابن عم سليم خان الثالث

ص٢١ س٢١ (ص٢٤٤) والصواب (ص٤) وكذا تصلح ص٢٦ س٢١

ص٢٦ س٢٤ (محمد الحفني) أصلح (محمد الحنفي)

ص٢٧ س١١ (بلغة الى السنة ١٢٣٦) قد وجدنا آخراً نسخة من هذا التاريخ تنتهي اخبارها في السنة ١٢١٨ (١٨٠٣)

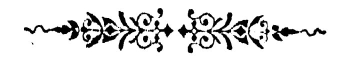
ص٣٠ س١٧ (ص٤١٣) اصلح (ص١٧)

ص٤٥ س١ (ص٢٤٥) اصلح (ص٦٩٥) — س٧ و٨ (حسن يوسف الشهاب) والصواب (حسن شقيق الامير بشير الشهابي)

ص٤٦ س١٢ (مدرسة عرمون) هي المدرسة المعروفة بمار عبدا هرهريّا — س١٧ (المطران يوسف مسعد) والصواب (بولس مسعد)

D'autre part l'Orientalisme a joui durant le dernier siècle d'une faveur toujours croissante. De la France où les de Sacy, les Langlois, les Quatremère lui imprimèrent une impulsion si vive, il se propagea en Allemagne, en Hollande et jusqu'aux confins de l'Europe.

Cette époque, on le voit, n'est pas la moins intéressante pour l'histoire des études orientales. L'Europe et l'Orient y figurent ensemble pour la première fois et voient leurs communs efforts couronnés de succès. A elle seule cette période réclamerait une histoire indépendante et c'est pour y contribuer dans une faible mesure que nous avons réuni ici, en les complétant, une quinzaine d'articles sur la littérature arabe au XIX^e siècle parus dans notre Revue al-Machriq. Ce n'est qu'une première partie qui embrasse les trois premiers quarts du siècle; elle sera suivie prochainement d'une seconde qui comprendra le reste du siècle avec les commencements du vingtième. Nous les offrons l'une et l'autre aux Orientalistes du Congrès de Copenhague qui voudront bien se souvenir que ces pages ont été écrites surtout pour les Orientaux. Nous espérons néanmoins qu'elles pourront leur être de quelque utilité pour un ouvrage plus considérable que nous leur souhaitons d'entreprendre. Les nombreuses recherches qu'il nous a fallu faire pour tirer de l'oubli plusieurs personnages leur serviront de jalons pour ce travail ultérieur. C'est là notre unique ambition.



PRÉFACE

L'Histoire de la Littérature arabe reste toujours à faire. Les ouvrages parus sur ce sujet, malgré leur mérite réel, ne sont encore que des pierres d'attente ou des matériaux pour un édifice plus considérable que tout le monde désire. Hammer en Autriche, Brockelmann en Allemagne, Huart en France, Arbuthnot et Nicholson en Angleterre, Pizzi en Italie et Guirgas en Russie ont abordé cette question, mais n'ont abouti jusqu'ici qu'à nous donner une série de notices d'auteurs, des nomenclatures bibliographiques plus ou moins étendues, ou des esquisses rapides et par trop succinctes. Une véritable histoire littéraire exige autre chose. Il faudrait remonter aux origines de la langue, étudier ses monuments, suivre pas à pas sa formation, ses progrès, ses modifications multiples, ses manifestations diverses à toutes les époques et dans les nombreux pays de la domination arabe, jusqu'à sa décadence au XV^e^ siècle.

Une telle œuvre dépasserait sans doute les forces d'un seul homme; mais plus d'une Société Asiatique pourrait l'entreprendre et la mener à bonne fin. Ce serait là un service signalé rendu aux Lettres Orientales. Cette œuvre devra nécessairement avoir un corollaire; ce sera l'histoire de l'Orientalisme, et tout particulièrement de la renaissance des études arabes, au XIX^e^ siècle. Tel a été en effet l'essor donné à l'arabe depuis cent ans, que cette langue est entrée dans une phase toute nouvelle. De nombreuses écoles ont surgi sur tous les points de l'Orient, et avec elles toute une pépinière de savants, grammairiens, littérateurs, poètes, publicistes de toute sorte qui ont enrichi la langue arabe d'une longue série d'ouvrages. Le zèle intelligent des Missionnaires a été pour une grande part dans ce mouvement. Non contents d'être auprès des Orientaux les pionniers de la civilisation europénne, il se sont efforcés de leur faire apprécier leur langue et de leur en faciliter l'étude. L'Imprimerie leur prêta un admirable concours pour la diffusion de nombreux manuels classiques et d'autres publications importantes. Grâce à leur activité et à celle des élèves qui se formèrent sous leur conduite, des Journaux, des Périodiques contribuèrent à étendre et à développer le goût de l'arabe.

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXᵉ SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1ʳᵉ partie

de 1800 à 1870



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1908